
بسم الله الرحمن الرحيم
العقوبات المعنوية
في
الايات القرآنية
سامي التميمي

بسم الله الرحمن الرحيم

العقوبات المعنوية

في

الآيات القرآنية

المحتويات

- ملازمة القرين
- عقاب المسخ
- التشبيه والتمثيل
- عقاب التوبيخ النفسي
- زيادة في المرض القلبي
- حرمان الكلام والنظر
- عقاب التثبيط
- عقاب الدحر
- عقاب العمى
- الضرب على الوجوه والأدبار
- اعقبهم نفاقا
- الغواية الالهية
- الأغلال في الأعناق
- عقوبة الجثو على الرُكب
- عقاب الدعّ او الزجر

المقدمة

الحَمْدُ للّهِ الَّذي لَمْ يَتَّخِذْ صاحِبَةً وَلا وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً. الحَمْدُ للّهِ بِجَمِيعِ مَحامِدِهِ كُلِّها عَلى جَمِيعِ نِعَمِهِ كُلِّها.

وَالصّلاَةُ وَالسّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ الخَلْقِ أَجْمَعِينَ وَخَاتمِ الأَنْبِياءِ وَالمُرْسَلِينَ، نبينا مُحَمّدٍ وَعَلَى آلِهِ الطّيِّبين الطَاهِرين.

وبعد: لا يزال القرآن الكريم في ديمومة من العطاء، وممدوحة من الثراء، في تبصرة العقول، وتذكرة النفوس، وشفاء لما في الصدور من الصدأ والادران، ودواء لما في القلوب من الغفلة والنسيان، كأنّ لسان حاله يقول ولدينا المزيد والجديد، لكل وارد مُريد! وقد وصفه امير المؤمنين عليه السلام (وَبَحْرٌ لاَ يَنْزِفُهُ اَلْمُسْتَنْزِفُونَ وَعُيُونٌ لاَ يُنْضِبُهَا اَلْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لاَ يَغِيضُهَا اَلْوَارِدُونَ). (١)

وكيف لا وهو كلام اللّه؟ عالم السّر وأخفى، وطبيب المرضى، وملاذ الغرقى، ومنجي الهلكة، فقد جعله تعالى تبيانا لكل شيء،

١- نهج البلاغة

ومصوناً من كل عيب فعن الإمام الصادق عليه السلام: وقد سأله سائل: «ما بال القران لا يزدادُ على النشرِ والدرسِ إلا غضاضةً؟ فقال عليه السلام: لأنَّ اللّهَ تباركَ وتَعالى لَمْ يَجعلْهُ لِزَمانٍ دونَ زَمانٍ، ولِناسٍ دون ناس، فَهُو في كلِّ زمانٍ جَديدٌ، وعِندَ كُلِّ قَومٍ غَضٌّ إلى يومِ القِيامَةِ.» (١)

الغاية من التأليف

غايتنا من هذا التأليف هو ان نستلهم من كتاب اللّه المعاني الجليلة، والنكات اللطيفة، والاشارات الجميلة، والمواعظ العظيمة، والدروس المفيدة، لعلها تكفر عنا الذنوب، وتدفع عنا الخطوب، وتقربنا عند المحبوب.

وذلك من خلال بيان العقوبات الإلهية المعنوية في القران، والوقوف عليها بتدبر وإمعان، وبيان اثارها الخطيرة، ونتائجها المريرة، وشدائدها الكبيرة، واشكالها الكثيرة، لعلها تنفع المؤمنين، وتنجيهم من كربات يوم الدين، وذلك عند مجانبة مقدماتها واسبابها، والعمل على خلاف اضدادها.

١- بحار الانوار ج ٧ ص ٢١٣

ملاحظات تمهيدية

وقبل الولوج في بيان العقوبات لا بأس ان نذكر جملة من الملاحظات تمهّد وتُوضح خارطة الموضوعات:

الملاحظة الأولى: جملة من هذه العقوبات الإلهية المعنوية قد تكون مشفوعة أيضا بعقوبات جسدية، فقد تكون عقوبة واحدة لكنها مشتملة على عقوبة جسدية وباطنية.

وبعبارة أخرى فمن المسّلم به قرآنيا بأن العقاب الإلهي بحق المجرمين ينقسم الى شكلين وقسمين جسديا وروحيا، وهذان القسمان لهما اشكال عديدة، وأنواع مختلفة يتناسب مع نوع الذنب وفداحته.

وقد أشار القرآن الى تعدد أقسام العذاب بقوله تعالى(وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (١) .

قال العلامة الطباطبائي في الميزان (شكل الشيء ما يشابهه وجنسه والأزواج الأنواع والأقسام أي وهذا آخر من جنس الحميم والغساق أنواع مختلفة ليذوقوه.

١- ص اية ٥٨

الملاحظة الثانية: ان هذه العقوبات المعنوية الروحية بعضها تصيب الكفار والمنافقين دون اهل ملة الإسلام وأخرى تشملهما.

الملاحظة الثالثة: ان هذه الموضوعات المطروحة هي عبارة عن استقراء ناقص في آيات القران الكريم وليس استقراء تاما لجميعها.

الملاحظة الرابعة: حاولنا في كثير من الآيات المبحوثة الاقتصار في الاستشهاد والتوضيح بالآيات القرآنية الا قليل منها استعنا بالروايات، والغرض من ذلك لكي نعيش الأجواء والبحوث المعرفية القرآنية مع قداسة الروايات.

نسأل الله تعالى ان يتقبل منا هذا الورد الزهيد، ويجعله شفيعا يوم نلقاه.

سامي التميمي

2023/04/12

قال تعالى (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا)

تزيين الاعمال السيئة

التزيين هو زَخْرَفَةُ الشيء وتجْميلُه، وتحْسينُه

من العقوبات الإلهية المعنوية التي تصيب الكثير من المجرمين والعاصين هو تزيين اعمالهم السيئة بحيث تبدو بنظرهم، وفي قرارة أنفسهم حسنة وجميلة وهم لا يشعرون.

وهذا العقاب الإلهي انما اصابهم نتيجة الكفران والعصيان والاعجاب بالنفس، واستحباب الحياة الدنيا على الاخرة.

فإننا نعلم بأن الله تعالى خلق الإنسان ليبتليه قال سبحانه (إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)(١)

وحتى يعلم في الأمر الواقعي الفعلي الخارجي مدى إخلاص عبده وإيمانه مع علمه المطلق بجميع أحواله وشؤونه قال عزوجل(أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٢)

١- الانسان اية ٢
٢- العنكبوت اية ٣

ولكي يبتلى بأمور الكثير لابد ان تكون تلك الأشياء محل جذب واستقطاب وميول النفس اليها.

فلذا من حكمته تعالى انه جعل ما على الأرض موضع زينة قال سبحانه (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا(١)

وقد ذكر القرآن الكريم العديد من المصاديق هي محل ابتلاء وزينة للإنسان كالمال والبنين قال تعالى (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (٢).

وإذا فشل الإنسان في البلاء وذلك باغتراره بزينة الحياة الدنيا ، وشغف بزخارفها ومتعها وازداد ولعا بها فانه سيجعلها كعبة لقلبه، ومحلا لسعيه، والهيم العطاش في شربه.

وإذا وقع بهذا البلاء المشؤوم وعلم الله منه الكفر والجحود ونقض العهود ووقع في شراك الشيطان المطرود ولم يتب الى ربه الغفور

١- الكهف اية ٧
٢- آل عمران اية ١٤

والودود استحق بذلك العقاب الإلهي المعهود وذلك بتزيين عمله المقبوح فيراه حسنا وممدوح قال عزوجل (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (١) وقال (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (٢) .

فياله من عقاب مغمور، وقع به الانسان الكفور قال عزوجل (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٣)

فعين عمياء لا تدرك حقيقة الأشياء، وقلب شغوف بالأهواء، ولهف ولهث بمتع الدنيا بلا اعياء، وجهل مركب يزين له انه من الاتقياء السعداء.

فما اكثر الذين وقعوا بهذا العقاب الالهي وهم لا يشعرون فيحسبون انهم يحسنون صنعا وانهم من اهل الصلاح والفلاح وأن أعمالهم مقبولة وحياتهم سعيدة ولهم كرامة وحظوة عند ربهم

١- فاطر اية ٨
٢- الكهف اية ١٠٤
٣- النمل اية ٤

لكنهم لا يعلمون انهم يعيشون في خداع الشيطان ومقت الرحمن(وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (١) وقال تعالى (وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢) وقال (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلا مَقْتًا ۖ وَلا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلا خَسَارًا (٣) .

ومضة

اتضح مما تقدم عدة فوائد، ونكات مهمة نلخصها بأمور:

أولا: ان الله تعالى قد جعل ما على الأرض زينة لها مع اختلاف أشكالها وأنواعها وقوتها وضعفها للابتلاء بني آدم.

فقد يعصم الانسان نفسه عن بعض الفتن والمغريات او يجد نفسه عازفة عنها وفاقدة الميول الى محاسنها بينما هو ذاته يضعف امام بعض المفاتن، ويسرع اليه بدون أي رادع.

١- الكهف اية ٣٦
٢- النمل اية ٢
٣- فاطر اية ٣٩

وهكذا نلاحظ التفاوت والاختلاف بين الأشخاص في الميول وعدمه بالنسبة الى الموبقات والاغترار بزينة المفاتن.

وهناك رجال قد عصموا أنفسهم بتوفيق الله من كل ذلك ولم تسرق زخارف الدنيا ومفاتنها قلوبهم، ولم تخدعهم زينتها وجمالها أنفسهم.

ولعل الحكمة من جعل ما على الأرض زينة لاختلاف الرغبة والميول لدى الانسان وتفاوت الايمان قوة وضعفا.

اذن: فكل ما يقع تحت الأبصار من جميل، وما يأخذ بالألباب من عظيم، وما يثير الشهوات، ويحرك النفوس الى النزوات، فهي مزخرفة ومزينة بطلاء خادع، وجمال زائف، حيث تجذب اليها القلوب العمياء، وتخدع أصحاب الجهل والخيلاء ومن كلام لعلي عليه السلام في وصف الدنيا (مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ ! وَآخِرُهَا فَنَاءٌ! فِي حَلاَلِهَا حِسَابٌ، وَفِي حَرَامِهَا عِقَابٌ. مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ، وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ، وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ، وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ . وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ،

وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ. (١)

ثانيا: أن الزينة مقدمة رتبة على عقاب التزيين الإلهي فليس كل فرد ينخدع بزينة الدنيا وينغرّ بزخارفها الزائفة، بخلاف وقوع عقاب التزيين فهو جاء عقابا وجزاء لمن غرته الدنيا وأصبح عبدا لهواه وجندا لحزب الشيطان.

ثالثا: ان الزينة بمصاديقها الكثيرة هي محل فتنة وابتلاء، والمرء في مواجهة مستمرة، وحرب مستعرة لا هوادة فيها، اما ان يصرع مفاتنها بقوة الايمان وشدة الجهاد حتى يرتقي الى سلم الكمال، ويدنو من الرحيم المتعال او تغلبه وتصرعه فيتسافل الى أدنى دركات الحضيض.

رابعا: هناك فرق دقيق ولطيف بين تزيين الأشياء كالمال والبنين كقوله (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (٢) وبين تزيين

١- نهج البلاغة

٢- آل عمران اية ١٤

الاعمال كقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (١).

فتزيين الأشياء هي عامة لجميع بني آدم ومحل اختبار ليميز الخبيث من الطيب اما تزيين الاعمال فهو عقاب الهي جاء نتيجة الوقوع في مفاتن الدنيا مما أدى الى الكفر والفساد والعصيان، فاذا ما بقي الانسان على عصيانه وكفرانه زُيّن له عمله فيراه حسنا وجميلا لأنه اعمى فاقد البصيرة (أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا) . (٢).

١- النمل اية ٤
٢- فاطر اية ٨

قال تعالى(وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ)

حبط الاعمال الحسنة

يقال حبط عمله أي بطل وذهب سدى

يعدّ حبط الاعمال الحسنة من أشد العقوبات الإلهية التي تسلط على أعمال المجرمين والعاصين وتحرقها وتنسفها وتجعل صحيفتهم قاعا صفصفا كالكفر والشرك والارتداد قال عزوجل (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ .(١)

هناك الكثير من الأفعال والأسباب التي تؤدي الى حبط الأعمال الحسنة ينبغي على المؤمن أن يطلع عليها ومراعاتها وصيانتها خشية ابطالها بينما هو في غفلة من أمره قال عزوجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٢).

ولا بأس نذكر جملة من محبطات الأعمال التي وردت في خصوص كتاب اللّه.

١- سورة محمد(ص) ٣٢
٢- نفس السورة اية ٣٣

الشرك بالله: وهو قوله تعالى(وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ (١).

الكفر والصد عن سبيل الله: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَينَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٢) وقوله (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (٣) وهناك العديد من الآيات نزلت بهذا المعنى فراجع.

اتباع ما أسخط الله: قوله تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٤)

الارتداد عن دين الله: قوله تعالى (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ۖ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥).

إساءة الادب عند حضرة النبي(ص): وهو قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ

١- الزمر اية ٦٥
٢- سورة (محمد) ص اية ٣٢
٣- نفس السورة اية ٢٨
٤- نفس السورة اية ٢٨
٥- البقرة اية ٢١٧

بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (١).

الرياء والمنّة: قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢)

عصيان الله ورسوله: قوله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (٣) .

فمن خلال الوقوف على تلك الآيات اتضح بأن محبطات الاعمال متنوعة وكثيرة ولا تختص بأصحاب الكفر والارتداد بل بعضها ينال العاصين من أهل الإيمان.

ومن الملاحظ أيضا أن محبطات الأعمال الصادرة من أهل الإيمان كالرياء والمن مقتصرة على بطلان خصوص العمل الصالح المأتي

١- الحجرات اية ٢
٢- البقرة اية ٢٦٤
٣- سورة محمد(ص) ٣٣

كبطلان الصدقات وليس مطلق الأعمال الحسنة بخلاف الكفر والارتداد.

وهناك العديد من محبطات الأعمال التي وردت على لسان الروايات فمن أراد الاطلاع عليها فليراجع.

اذن: بعد الوقوف على هذه الحقائق الناصعة والاقوال الصادقة التي وردت في كتاب اللّه الذي يصدح بقوله (وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلا (١)

يتضح جليا بان الإحباط الأعمال يعد عقوبة معنوية عظيمة يصيب بها اللّه تعالى من كفر بأنعم وارتد عن دينه وتعدى على حدوده ولم يخلص نيته وآذى الناس بمعروفه ولم يطع اللّه ورسوله قال عزوجل (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا (٢) .

لذا من الضروري ان تُخلص النوايا للّه وحده وتصان من آفة الرياء والمن وغيرها من الامراض القلبية التي تعد كالنار تحرق الصالحات وتجعل الفرد فقيرا محبطا بعدما بذل ازاءها الكثير

١- سورة النساء اية ١٢٢
٢- الفرقان اية ٢٣

من المال والطاقات الاخرى لكنه في لحظة من الغفلة، وطاعة لهوى نفسه، يهدم ويبطل ما قدمه لأخرته.

ومن اللطيف في قوله تعالى(مَن جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) (١) حيث ان الآية لم تقل من عمل الحسنة بل قالت من جاء بالحسنة اي من صانها من الآفات والاغراض المنافية للإخلاص كالرياء.

فالعمل الصالح امر مهم قد ندب اليه الشرع المقدس من خلال الآيات والروايات لكن الأهم المحافظة عليه من الإحباط والبطلان بسبب المعاصي وسوء النيات.

فحبط الاعمال الحسنة بالسيئات كالنار في الهشيم لا تدع منه شيئا وتجعل العاصي خفيف الميزان.

١- الانعام اية ١٦٠

قال تعالى(خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ)

الختم على القلوب

يقال ختم على قلبه: اي غطّاه وطبع عليه فلا يعي شيئًا .

ان عقاب الختم والطبع على القلب والسمع والبصر النازل بحق المجرمين والمستكبرين قد تكرر كثيرا في القرآن الكريم.

وهذا التكرار كاشف عن أمور مهمة:

الاول: اعراض أكثر الأمم والاقوام عن دين اللّه وقيمه، والإقبال على الدنيا ومتعها .

الثاني: كاشف عن شدة ونوعية عقاب الختم والطبع على القلوب والسمع والأبصار.

الثالث: التحذير من الكفر والكبر والنفاق والأمراض القلبية الاخرى خشية استحقاق العقاب الالهي في الطبع والختم.

والمراد بالختم على القلوب والسمع والأبصار هو الطبع عليها بغشاوة وحجاب بحيث يعمى المرء عن تقبل الحق والانصياع له، بسبب الاستفحال في الجحود والطغيان، والانغماس في الذنوب والعصيان.

وقد وردت في القرآن الكريم مفردات عديدة، وبألفاظ مختلفة كالختم والطبع والرين والاقفال والاكنة وهي تعبر عن حقيقة ثابتة وهدف واحد وهو العقاب المعنوي الذي يصيب قلب الانسان المتكبر كقوله تعالى(خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ([1]) وقوله تعالى(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) وقوله (الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ (٣) وقوله (كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٤) وقوله (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٥) وقوله سبحانه(وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (٦) .

---

١ البقرة اية ٧
٢ النساء اية ١٥٥
٣ غافر اية ٥٥
٤ المطففين اية ١٤
٥ سورة محمد (ص) اية ٢٤
٦ الاسراء اية ٤٦

تنبيهان

الختم نتيجة الكفران واكتساب الآثام

من يتدبر في القرآن الكريم سيقف على العديد من الآيات التي تدعو الإنسان الى وجوب عبادة الرحمن واتباع الهدى، والحذر من طاعة الشيطان والسقوط في العمى.

فالله تعالى منزهٌ عن ختم قلوب الناس بدواً! وبعبارة أوضح أنه تعالى لا يختم على القلوب والسمع والأبصار على طائفة من بني آدم او يضلهم من دون صدور الكفر والعصيان منهم، وكيف ذا وهو الداعي إلى وجوب الايمان؟ وعبادة الرحمن والمسارعة لنيل الجنان كقوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (١) وقوله (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ وقوله(٢) (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٣) وقوله (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ

١- البقرة اية ٢١
٢- يس اية ٦٠
٣- الأنبياء اية ٩٢

الْكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَينَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١) الخ.

اذن: فالختم جاء عقابا على الكفران واكتساب الآثام كقوله تعالى (بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا (٢) وقوله (كَلا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٣) وقوله (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٤).

وقد وقع البعض في التباس واشتباه بسبب النظر في زاوية محدودة الى بعض الآيات والتغافل عن الآيات الاخرى، الانفة الذكر، وكأن لسان حالهم قوله تعالى(لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٥)

١- البقرة اية ٢١٣
٢- النساء اية ١٥٥
٣- المطففين اية ١٤
٤- لتوبة اية ٧٧
٥- الأنبياء اية ٢٣

فمن الآيات القرآنية التي استدل بها هؤلاء قوله تعالى (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۗ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ([1]) وقوله (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ (٢) وقوله (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الحَكِيمُ (٣) وقوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٤)

وهذا الرأي مع أنه مدفوع بالآيات الأنفة الذكر فهو ايضا مخالف للعقل! فكيف يبعث الله الرسل، وينّزل عليهم الكتب، ويأمر الناس باتباعهم، ووجوب الاهتداء بهديهم وهو قاض وحاكم عليهم بالضلال في بدء خلقهم؟

انما الله سبحانه يترك للإنسان مطلق الحرية في اختيار سبيل الحق من دون اكراه واجبار قال تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى

١- شورى اية ٤٤
٢- الانعام اية ١٢٥
٣- إبراهيم اية ٤
٤- الصافات اية ٩٦

اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١)وقال (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢) وقوله تعالى (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣)

اذن: فهذه حقيقة واضحة الادراك بأدنى تامل ونظر، لمن اسبر فكره في الآيات وتدبر!.

فقدان الشعور بالطبع والختم

يصاب كثير من الناس بمختلف الأمراض النفسية والبدنية وهم في دراية وبصيرة من تلك الأمراض وغير ناكرين لها.

وهناك طائفة من الناس بسبب غشاوة الذنوب ونكران الحقائق الناصعة واستحباب الحياة الدنيا وتفضيلها على الاخرة ينعدم عندهم الشعور بسبب الختم والطبع على القلوب.

١- يوسف اية ١٠٨
٢- يونس اية ٩٩
٣- الانعام اية ١٣٠

وقد صرحت العديد من الآيات في بيان هذه الحقيقة كقوله تعالى (يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١) وقوله (أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لا يَشْعُرُونَ (٢) وقال (وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٣)

بل هناك طائفة من الناس بسبب الطبع والختم على قلوبهم يحسبون انهم احسن الناس صنعا قال تعالى(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) (٤) وقال تعالى على لسان صاحب الجنة (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلا (٥).

١- لبقرة اية ٩
٢- لبقرة اية ١٢
٣- آل عمران اية ٦٩
٤- الكهف اية ١٠٤
٥- الكهف اية ٣٧

عبرة

بعد معرفة خطورة الختم على القلب وانه من العقاب الإلهي الذي يحجب المرء عن النظر بالعواقب ومحاسبة النفس في سلوكها ومعتقداتها فينبغي على العاقل ان لا يستهين بالمعاصي وان يحذر من الركون الى الدنيا والاطمئنان بغدرها ومكرها خشية من تراكم الذنوب، وقسوة القلوب، والغفلة عن المعبود.

لذا ينبغي ان يأخذ المرء الدروس والعبر، من هذه الآيات وما فيها من النذر، فلا يوجد للإنسان ضمان، مِنَ الوقوع في فخ الشيطان ، والاستدراج في العمل، وبينما يحسب انه على خير ومن الكُمل وهو لا يعلم قال عز وجل (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ([1]) وقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢).

١- الأعراف اية ١٨٢
٢- الحشر اية ١٩

قال تعالى(وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)

إذهاب النور

ومن العقوبات المعنوية الالهية التي تصيب الكثير من الناس من حيث يشعرون او لا يشعرون هو اطفاء نور الفطرة الالهية من قلوبهم نتيجة الكفران وتولية الشيطان والتوغل بالمعاصي والآثام قال تعالى عنهم (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ)(١)

وقد بُعث الأنبياء لكي يخرجوا الناس من الظلمات الى النور بعدما اطفئوا نور فطرتهم بحجب الكفر والذنوب قال تعالى(الر ۚ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)(٢)

لكن إذا ما اعرض المرء عن الهداية، وسلك طريق الغواية، وأنس بزخارف الدنيا وجمالها، وانخدع بمكرها وشهواتها وتولى الطواغيت وطاعهم فحينها يعيش المرء في ظلام دامس فذلك ميت

١- النور اية ٤٠
٢- إبراهيم اية ١

الأحياء قال عزوجل(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ).(١)

وذهاب النور الالهي من صدور فئة من الناس هي نسبة متفاوتة ودرجة متغايرة وفق نوعية الذنب والمعتقد المنحرف، وفي نفس الوقت هو غير مقتصر على من أنكر العقائد الحقة بل يشمل ذوي الموبقات وتاركي الطاعات من أهل التوحيد.

فقد روي عَنِ الصَّادِقِينَ (عليهما السلام) أَنَّهُمْ قَالُوا إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فَعَلَى الْعَالِمِ أَنْ يُظْهِرَ عِلْمَهُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ سُلِبَ مِنْهُ نُورُ الإِيمَانِ..(٢)

ومن نتائج وعواقب ذهاب النور الالهي او ضعفه من القلوب انه يؤدي الى عمى القلب بحيث يفقد المرء تشخيص الاشياء واصابة الحق واتباعه قال تعالى (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ

١- البقرة اية ٢٥٧
٢- ميزان الحكمة ج ١ ص ٣٣٨

يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (١).

واعماء القلوب هو ذهاب نورها وفقدان البصيرة في معرفة الحق واتباعه وعدم تسليم اليه، وهو بطبيعة لا يساوق البصير الذي شعّ النور في قلبه قال تعالى (مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأَعْمَى وَالأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا ۚ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢).

ومن أبرز واوضح مصاديق وجود النور الالهي في القلب وثباته هو الايمان التام بجميع العقائد الحقة ومجانبة اضدادها وانشراح الصدر وطاعة الرحمن ومعصية الشيطان قال تعالى (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٣)

لذا سوف يظهر هذا النور جليا يوم القيامة بين ايدي المؤمنين ويكون لهم نجاة وبشارة، وأعظم عقوبة وخسارة للكافرين

- الحج اية ٤٦
- هود اية ٢٤
- الزمر اية ٢٢

والمنافقين قال سبحانه(يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) وقال تعالى(يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢)يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ (٢).

١- التحريم اية ٨
٢- الحديد اية ١٣

قال تعالى (فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الخِزّىَ فِي الحَيَاة الدّنّيَا)

الذلة والخزي

بقال خَزِيَ مِنْ عَمَلِهِ: أي شَعَرَ بِالْعَارِ وَالْمَهَانَةِ وَالذُّلِّ

ومن موارد العقوبة المعنوية هي الذلة والمهانة والخزي التي تنال من أدبر وتولى عن طاعة اللّه تعالى وأخذ يشاقّ اللّه ورسوله بمعصيته.

والمراد من الذلة والمسكنة الناتجة عن المروق عن جادة الصراط القويم هي الضعة والمهانة والانحطاط التي تصيب المستكبرين عن طاعة اللّه، اما الذلة والخضوع والمسكنة للّه تعالى فهي بلا شك شرف وكرامة ومورد افتخار.

فالعزة لمن اعتز باللّه قال تعالى (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) (١) والذلة لمن اعتز بغيره.

يحكي لنا القران الكريم عن حال سحرة فرعون كيف اصابتهم الذلة والهوان لما التجأوا لفرعون واقسموا بعزته طلبا للغلبة على نبي اللّه موسى عليه السلام قال تعالى في سورة الشعراء (فَأَلْقَوْا

١- فاطر اية ١٠

حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (١)وفي سورة الاعراف بينّت الآية مآلهم المخزي (فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (٢).

فمن تخلى عن عزة الله وطلبها في غيره لم يدركها البتة بل اصابه الصَغَار والهوان قال تعالى (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (٣)

فالذلة عقوبة معنوية معجلة لمن خرج عن حدود الله وعصى أوامره، ولها مصاديق عديدة وامثلة كثيرة كإعطاء الجزية قال تعالى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٤) او الافتضاح بين الناس بسوء الاعمال وخبايا الاسرار او نزول عذاب الخزي قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ في

١- الشعراء اية ٤٤
٢- الأعراف اية ١١٩
٣- الانعام اية ١٢٤
٤- التوبة اية ٢٩

الحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١) وقال تعالى(فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٢)

وان كل معصية مقرونة بذلة تناسبها فقد روي عن الإمام الصادق عليه السّلام: «عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللّٰهِ (عليه السلام) يَقُولُ مَا نَقَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْداً مِنْ ذُلِّ الْمَعَاصِي إِلَى عِزِّ التَّقْوَى إِلا أَغْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مَالٍ وَأَعَزَّهُ مِنْ غَيْرِ عَشِيرَةٍ وَآنَسَهُ مِنْ غَيْرِ بَشَرٍ».(٣) .

وان الذلة مهما كانت عظيمة في دار الدنيا فهي لا تعد شيئا مقارنة بخزي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد.

ولذا ينبغي الإكثار من الدعاء والاستغفار، في الليل وأطراف النهار، في الاعلان والاسرار، رجاء رحمة اللّٰه بان لا يكشف عنه الاستار قال تعالى (رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ) (٤) وقال (وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ

١- الأعراف اية ١٥٢
٢- هود اية ٣٩
٣- الكافي ج ٢ ص ٧٦
٤- آل عمران اية ١٩٤

يُبْعَثُونَ (١) (إلهي قد سترت عليّ ذنوبا ـ في الدنيا , وأنا أحوج إلى

سترها عليّ منك ـ في الأُخرى. إلهي قد أحسنت إليّ إذ لم تُظهرها

لأحد من عبادك الصالحين فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس

الأشهاد,

واعلم ان نوعية العذاب والعقاب الذي ينتظر الظالمين والمعتدين

على حدود اللّه يوم القيامة هو مقرون بأنواع عديدة ومختلفة من

المهانة والاذلال قال تعالى (وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ

يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٢) وقال عز وجل (وَالَّذِينَ

لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلا

بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ

الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٣)

حتى بنوعية الطعام والشراب والظلال قال تعالى (لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ

إِلا مِن ضَرِيعٍ (٦) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٤) .

١- الشعراء اية ٨٧
٢- النساء اية ١٤
٣- الفرقان اية ٦٩
٤- الغاشية اية ٧

وقيل ان الضَّرِيعُ: نَبْات لا تَقرَبُه دابةٌ لخبثه.

وقال (فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لا يَأْكُلُهُ إِلا الخَاطِئُونَ (١) والغسلين ما يسيل من جلود أهل النار، كالقيح وغيره. وقال (وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ (٢)

فمع وجود الظل لكنه لا يقيهم بردا ولا بجلب لهم نفعا، ولا يدفع عنهم ضرا لأنه شديدة الحرارة.

ومن المهانة والاذلال لأصحاب الاستكبار والاجرام في يوم الحساب ان يجابه توسلهم للخلاص والنجاة من عذاب النار بكلمة مهينة عند زجرهم وهي (اخسئوا) التي تقال للكلب عند زجره كما قيل قال تعالى (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ (٣) .

١- الحاقة اية ٣٧
٢- الواقعة اية ٤٤
٣- المؤمنون اية ١٠٧

قال تعالى(وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تجدَ لَهُ نَصِيراً)

اللعن والطرد

يقال لَعَنَهُ اللّهُ: أي أَخْزَاهُ وَأَبْعَدَهُ مِنَ الخَيْرِ

ان اللعن هو الطرد من رحمة اللّه، أعاذنا اللّه تعالى من الاقتراب من اسبابه ومقدماته.

ويعد اللعن من اشد العقوبات المعنوية ثقلا وجزاء بحق أهلها ومستحقيها، وهو شامل للكافر المعاند والمسلم العاصي، ولا بأس ان نذكر بعض عناوين اللعن من خلال الاستشهاد بمجموعة من الآيات:

- **بحق الكافرين**: قال تعالى (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلا مَا يُؤْمِنُونَ) (١)
- بحق المفترين قال تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا) (٢) وقال (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣).

١- البقرة اية ٨٨
٢- المائدة اية ٦٤
٣- النور اية ٢٣

- **الذين يكتمون البينات**: وقال (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى من بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ (١) :

- **الذين يحرفون الكلم**: قال تعالى (مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا (٢)

- **من يقتل مؤمنا متعمدا**: قال (وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٣)

- **الذين ينقضون الميثاق**: قال تعالى (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٤).

١- البقرة اية ١٥٩
٢- النساء اية ٤٦
٣- النساء اية ٩٣
٤- الرعد اية ٢٥

- **بحق المتكبرين**: قال تعالى (قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (١) وغير ذلك من موارد اللعن.

واللعن لا يعني إغلاق أبواب التوبة إذا ما صدر من الكافر المعاند والمسلم العاصي قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ ۙ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ (١٥٩) إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٢).

لكن التوفيق للتوبة يحتاج الى عناية ولطف من الله تعالى ومن يُطرد من رحمة الله يندر ان يوفق للتوبة.

والإنسان ضعيف أن يدرك المعالي الأمور من دون رعاية وتسديد من الله فكيف بمن يُطرد من رحمة الله ويكله الله إلى نفسه أمام محن الحياة وشدائدها، تتقاذفه أمواج الفتن من كل حدب وصوب لا يستطيع مواجهتها حتما من دون رحمة الله ؟.

١- الحجر اية ٣٥
٢- البقرة اية ١٦٠

قال تعالى(كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ

الحسرة والندامة

الحَسْرة: شدَّة التلهُّف والحزْن على ما فات، والندم على التفريط والتقصير بما وجب الاحتراز والاشتغال والاخذ به قبل فوته.

من العقوبات الإلهية التي تنال المجرمين ان يريهم اللّه أعمالهم حسرات عليهم حتى يقترن مع العذاب الجسدي عذاب نفسي وروحي.

فالحسرة هي عقوبة قلبية تصيب المعاندين والمقصرين في طاعة اللّه ، وهناك حسرة مختصة بدار الدنيا قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١) وقال (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٢).

١- آل عمران اية ١٥٦
٢- الانفال اية ٣٦

وهناك حسرة عند الحساب والحشر وان حسرة الاخرة هي بلا شك اعظم واشد من الحسرة التي تنال الإنسان المقصر في دار الدنيا قال (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١) وقال (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٢) وقال (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣) وقال (وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (٤).

فعلاوة على العذاب الجسدي الذي لا مثيل له الذي ينزل بهم يوم القيامة تقارنه الحسرة والندامة القلبية على الاهمال والتفريط والتكذيب بالبينات والهدى والآيات روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن أشد الناس ندامة يوم القيامة، رجل باع آخرته

١- مريم اية ٣٩
٢- الزمر اية ٥٦
٣- الانعام اية ٣١
٤- البقرة اية ١٦٧

بدنيا غيره ([1]) وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ وَصَفَ عَدْلا ثُمَّ عَمِلَ بِغَيْرِهِ ([2])

والمرء ما دام لديه بقية من عمره الثمين فالفرصة ما زالت سانحة يمكن ان يدارك الكثير ويصلح ما أفسده خلال عمره الطويل من التفريط والتعليل قبل ان يلبي نداء الرحيل فيصاب بالحسرات والآهات التي ليس لها نظير ولا مثيل، تبقى ملازمة معه الى ابد الابدين قال تعالى (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣)

من كلام علي بن ابي طالب عليه السلام(أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَة قَدِ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ، فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَين غَيْرِ صَحِيحَة، وَيَسْمَعُ بِأُذُن غَيْرِ سَمِيعَة، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ، فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلَمَنْ فِي يَدَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا، حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثُما أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا; لاَ يَنْزَجِرُ مِنَ اللهِ

١- ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٤٢٠
٢- نفس المصدر ج ٣ ص ٢٠٩٧
٣- يس اية ٣٠

بِزَاجِرٍ، وَلاَ يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ، وَهُوَ يَرَى المَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ ، حَيْثُ لاَ إِقَالَةَ وَلاَ رَجْعَةَ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيْرُ مَوْصُوف مَا نَزَلَ بِهِمْ: اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ المَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ، فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ. ثُمَّ ازْدَادَ المَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً، فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّة مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ، يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمْرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ! وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا، أَغْمَضَ(٢) فِي مَطَالِبِهَا، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا، قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا، وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا، فَيَكُونُ المَهْنَأُ لِغَيْرِهِ، وَالْعِبءُ عَلَى ظَهْرِهِ. وَالمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا، فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ، وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِي كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ..(١)

١- نهج البلاغة

قال تعالى(وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)

قسوة القلوب

قَسْوَةُ الْقَلْبِ: شِدَّتُهُ، وصَلَابَتُهُ

القلب هو المحور وعليه المعول في الفلاح والنجاح، ولا نقصد القلب المادي الذي يضخ الدم في الجسم انما القلب المعنوي الذي يقبل الحق لسلامته او يرفضه لقساوته قال تعالى (إِلا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (١) وقال (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٢).

وقد ذكرنا في بحث سابق بان الله تعالى لا يبدأ بمعاقبة عبيده من دون تعد منهم ونقض لعهودهم قال تعالى (مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ (٣) وقال (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً. (٤)

وان قلب المرء كلما ازداد شغفا بحب الدنيا وتعلقا بزخارفها سيبدأ تدريجيا بالتمّرض ولم يتحرج عن الكذب والنفاق حتى يفقد نقاؤه

١- الشعراء اية ٨٩
٢- الحج اية ٤٦
٣- فصلت اية ٤٦
٤- المائدة اية ١٣

وطهارته قال تعالى (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١) وقال (فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ) .(٢)

ومن وصية امير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام (... بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالاً مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي، أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ. وَإِنما قَلْبُ الحَدَثِ كَالأَرْضِ الخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيءٍ قَبِلَتْهُ. فَبَادَرْتُكَ بِالأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ، وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ..(٣)

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: إنَّ للّهِ عُقوباتٍ في القُلوبِ والأبدانِ: ضَنْكٌ في المَعيشَةِ ووَهنٌ في العِبادَةِ، وما ضُرِبَ عَبدٌ بِعُقوبَةٍ أعظَمَ من قَسوَةِ القلبِ. (٤)

١- البقرة اية ١٠
٢- المائدة اية ٥٢
٣- نهج البلاغة
٤- ميزان الحكمة ج ٣ ص ٢٦١١

وروي فيما ناجَى اللّهُ عَزَّوجلَّ بهِ موسى عليه السلام : يا موسى ، لا تُطَوِّلْ فِي الدُّنيا أملَكَ فَيَقسُوَ قَلبُكَ ، والقاسي القَلبِ مِنّي بَعيدٌ (١) .

واعلم ان مريض القلب والقاسي قلبه أسرع استجابة لفتن الشيطان ويكون فريسة سهلة للسقوط فِي اشراكه وغوايته لأنه اعرض عن ذكر اللّه واتبع هواه قال تعالى ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾[٢] وقال تعالى (فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (٣) وقال عز وجل (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) (٤) وقال (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

١- الحج اية ٥٢
٢- الانعام اية ٤٢
٣- الحج اية ٥٢
٤- الزمر اية ٢٢

لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١)

والظاهر ان قاسي القلب اعظم خطرا من مريض القلب، فالقسوة هو استفحال المرض بحيث اصبح يماثل الحجر في قسوته قال تعالى (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢).

فإذن: ان من العقوبات الالهية المعنوية هي جعل القلب قاسيا متحجرا بسبب نقض العهود وإظهار الجحود وعصيان المعبود قال عز وجل(فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً.(٣)

١- الحديد اية ١٦
٢- البقرة اية ٧٤
٣- المائدة اية ١٣

ومضة

أكدت الشريعة الإسلامية على ضرورة التحرز من حب الدنيا والتعلق بها خشية الوقوع في قبضتها والغفلة عن الاستعداد للآخرة لأن أساس وأصل الذنوب والمعاصي هي نتيجة حب الدنيا فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): حب الدنيا أصل كل معصية وأول كل ذنب (١) وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): رأس كل خطيئة حب الدنيا (٢).

فإذا ما تراكمت الذنوب على صفحة قلب الانسان فإنه سيعلوه الصدأ والرين حتى يطبع عليه ويقسو فقد روي عن الإمام علي (عليه السلام): ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب (٣).

فإذن هناك نوع تلازم بين حب الدنيا وكثرة الذنوب وقساوة القلوب وبالتالي سوف تؤثر هذه الحقائق سلبا على سير الإنسان ونهاية عاقبته السيئة إذا لم يتحصن بالتقوى والورع والخشية.

١- ميزان الحكمة ج ٢ ص ٨٩٦
٢- نفس المصدر
٣- نفس المصدر ج ١ ص ٢٨٥

قال تعالى(وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ)

النسيان والاعراض

ورد في كثير من الآيات القرآنية بان اللّه تعالى ينسى المجرمين والظالمين في نار جهنم فما هو المراد من هذا النسيان؟

إن نسيان اللّه للمجرمين بمعنى إعراضه عنهم وتركهم في العذاب عمدا مع علمه المطلق والحاضر بحالهم قال تعالى (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (١)

فيكون نسيانه إياهم نكالا بهم ومجازاة لهم على نسيانهم الحساب وإعراضهم عن الآيات والذكرى قال تعالى (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ (٢) وقال عز وجل (فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣)

ويعد النسيان للظالمين وعدم الالتفات لحالهم اشد ايلاما لهم، فهي عقوبة نفسية قاسية جزاء لما نسوا اليوم الآخر ولم يعدوا له عدته من الإيمان والتقوى.

١- مريم اية ٦٤
٢- الجاثية ٣٤
٣- السجدة اية ١٣

فالمجرم في دار الدنيا قد يُحكم عليه بالسجن مدى الحياة مع الأعمال الشاقة لكنه يرجو ويأمل صدور العفو والصفح من الحاكم في يوم من الأيام لكن سجن وعذاب الآخرة ابدي الخلود مع نسيان وإعراض عن المجرمين ولا يرجى العفو والصفح قال سبحانه (قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى(١).

ولقد روي عن علي (عليه السلام) على ضرورة أخذ الحذر من اتباع الهوى وطول الامل لأنه يؤدي الى نسيان الاخرة فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَانِ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الأَمَلِ فَأَمَّا اتِّبَاعُ الْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ الحَقِّ وَأَمَّا طُولُ الأَمَلِ فَيُنْسِي الآخِرَةَ". (٢)

ومن نسي الآخرة فسوف يسوّف الطاعات ويتجرّأ على المعاصي والموبقات ويكون أخف الناس ميزانا وأشدهم حسابا وعقابا بخلاف من كان يقظا ومسرعا في عمل الخير وهو على حذر ورجاء رحمة ربه قال تعالى (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا

١- طه اية ١٢٦
٢- نهج البلاغة حطبة ٤٢

وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ۗ إِنمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ (١)

عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ رَأَى الزُّهْرِيُّ عَلِيَّ بْنَ الحُسَيْنِ لَيْلَةً بَارِدَةً مَطِيرَةً وَ عَلَى ظَهْرِهِ دَقِيقٌ وَ حَطَبٌ وَ هُوَ يمْشِي فَقَالَ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللّهِ مَا هَذَا قَالَ أُرِيدُ سَفَراً أُعِدُّ لَهُ زَاداً أَحْمِلُهُ إِلَى مَوْضِعٍ حَرِيزٍ فَقَالَ الزُّهْرِيُّ فَهَذَا غُلامِي يَحْمِلُهُ عَنْكَ فَأَبَى قَالَ أَنَا أَحْمِلُهُ عَنْكَ فَإِنِّي أَرْفَعُكَ عَنْ حَمْلِهِ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ لَكِنِّي لا أَرْفَعُ نَفْسِي عَمَّا يُنْجِينِي فِي سَفَرِي وَ يُحْسِنُ وُرُودِي عَلَى مَا أَرِدُ عَلَيْهِ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللّهِ لَمَّا مَضَيْتَ لحَاجَتِكَ وَ تَرَكْتَنِي فَانْصَرَفْتُ عَنْهُ فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ أَيَّامٍ قُلْتُ لَهُ يَا ابْنَ رَسُولِ اللّهِ لَسْتُ أَرَى لِذَلِكَ السَّفَرِ الَّذِي ذَكَرْتَهُ أَثَراً قَالَ بَلَى يَا زُهْرِيُّ لَيْسَ مَا ظَنَنْتَهُ وَ لَكِنَّهُ المَوْتُ وَ لَهُ كُنْتُ أَسْتَعِدُّ إِنمَا الاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ تجَنُّبُ الحَرَامِ وَ بَذْلُ النَّدَى وَالخَيْرِ.(٢)

١- علل الشرائع ج١ ص ٢٣١

٢- فاطر اية ٣٧

ومضة

من المعلوم بأن أعمال العباد تظهر وتبلى بصورة واضحة وجلية وعلى حقيقتها في يوم القيامة وبدون أي غموض والتباس، وان لكل عمل سواء كان حسنا او سيئا له صورة تناسبه تظهر امام الانسان حتى تبهره وتبهته من عظيم ما يرى من الحسن او القبح حسب حقيقة ونوع العمل.

وكذلك من الحقائق التي يراها الإنسان في عالم الآخرة هي آثار الأعمال والمعتقدات التي اكتسبها وآمن بها في الدنيا.

ومنها نسيان يوم الاخر وعدم الاستعداد له او اهمال الآيات والبينات الناصعة، والأمانات الالهية، والتفريط في حقوق العباد.

فهذا الإهمال والنسيان والأعراض في الحياة الدنيا عن تعاليم الإسلام سوف تتجسد للمجرمين والطغاة ويرون آثارها السيئة في الاخرة من نسيان اللّه لهم في العذاب وعدم إعطائهم أية قيمة واهتمام لكل نداءاتهم وصرخاتهم (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ

فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (١).

وقد ورد التنبيه والتذكير من الله عزوجل في كتابه الكريم للمؤمنين على ضرورة التزود بالتقوى ليوم القيامة، وضرورة النظر ومحاسبة المؤمن لنفسه لمعرفة مقدار الاستعداد والتهيؤ لذلك اليوم العصيب والشديد.

وان التقصير والإهمال بعدم التدرع بالتقوى، وعدم التزود للأخرة كاشف بان الانسان في غفلة من أمره، ناسيا لذكر ربه.

ثم حذّر تعالى المؤمنين بان لا يكونوا ناسين لذكره كالكفار والمنافقين خشية معاقبتهم بالنسيان والاعراض عنهم، وايكالهم الى أنفسهم قال عزوجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢)

١- فاطر اية ٣٧

٢- الحشر اية ١٩

والفسق هو الخروج عن جادة الصراط القويم، باتباع الهوى وبالتالي نتيجة هذا السلوك المنحرف يتسبب الى نسيان الاخرة والذي يؤدي بدوره الى الغفلة، والايكال الى النفس.

قال تعالى (كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ)

الاحتجاب

يقال مَحْجُوبٌ عَنِ الأَنْظَارِ: أي مَسْتُورٌ

تعدّ اللذائذ الباطنية والروحية عند اهلها أكثر أنساً ولذة من اللذائذ المادية فقد يغفل المرء عن جميع اللذائذ المادية إذا ما نال مثلا فيوضات روحية او شهادة تقديرية او القاب مميزة تكريمية او ظفر بلقاء عزيز، او شفاء مريض.

فهذه اللذائذ الروحية تضيف البهجة والسرور والانشراح الى القلب تفوق اللذائذ المادية ما يكلّ اللسان عن وصفها وبيانها .

وان أشرف لذة وأعظمها هو الظفر بلقاء اللّه الروحي يوم القيامة والفوز بلطفه وعنايته قال تعالى (مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١).

وهناك ايضا عقاب الاحتجاب فعلى سبيل المثال لا الحصر حينما يحتجب الوالدان عن ابنائهم لتقصيرهم بحقهما يصاب الابناء بالوعة والحزن لذلك العقاب النفسي.

١- العنكبوت اية ٥

فمن العقوبات المعنوية هو احتجاب المولى عز وجل عن العاصين يوم القيامة، وهي عقوبة تفجع الفؤاد وتدمي القلب وذلك حينما يحتجب رب العزة عنهم لسوء اعمالهم وبما كسبت ايديهم قال تعالى (كَلا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لمحْجُوبُونَ (١)).

فهذا الاحتجاب الالهي جاء نتيجة الاعمال السيئة التي حالت دون الفوز بالنظر القلبي لوجهه الكريم (وَاَنَّ الراحِلَ اِلَيْكَ قَريبُ المَسافَةِ، وَاَنَّكَ لا تحْتَجِبُ عَنْ خَلْقِكَ إلاّ اَنْ تحْجُبَهُمُ الاَعمالُ دُونَكَ).

ومضة

ان نعيم الآخرة والمنح الالهية التي تعطى لعباد الله الصالحين في يوم القيامة لا يدرك كنهها وحقيقتها ووصفها إلا خالقها وواهبها او من اطلعهم الله على غيبه وخصهم بعلمه لمحدودة مدارك الانسان وأنسه بالماديات فقد روي عن امير المؤمنين عليه السلام في وصف الجنة(فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى اَلدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَ لَذَّاتِهَا

١- المطففين اية ١٥

وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا وَ لَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اِصْطِفَافِ اِصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ اَلْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا وَ فِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اَللُّؤْلُؤِ اَلرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَ أَفْنَانِهَا وَ طُلُوعِ تِلْكَ اَلثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا تجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا وَ يُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ اَلْمُصَفَّقَةِ وَ اَلْخُمُورِ اَلْمُرَوَّقَةِ قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ اَلْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ اَلْقَرَارِ وَ أَمِنُوا نُقْلَةَ اَلأَسْفَارِ فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا اَلْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ اَلْمَنَاظِرِ اَلْمُونِقَةِ لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا وَ لَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هَذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ اَلْقُبُورِ اِسْتِعْجَالاً بِهَا جَعَلَنَا اَللَّهُ وَ إِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَسْعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ اَلأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ. (١)

وان المنح الروحية والفيوضات المعنوية التي تفاض على عباده المؤمنين لا تقاس بالنعم المادية بشيء كرضوان الله (وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

١- نهج البلاغة
٢- التوبة اية ٧٢

وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٢)

ومرافقة الانبياء والصديقين (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (١)

وإن أعظم نعمة هي لقاء الله والسرور والانس بمشاهدة كرائمه وفيوضاته والنظر الى جميل صنعه وعظيم قدرته (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢)

فهذه النعم المعنوية وفضلا على النعم المادية يحرم منها المجرمون ويحجبون عنها وعلى راسها السرور والبهجة بلقاء الله، والتشرف والتكرم بمعية ملكه الابدي الذي خصّه لخاص اوليائه وعباده الصالحين قال تعالى (فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ (٣)

١- النساء اية ٦٩
٢- القيامة اية ٢٣
٣- القمر اية ٥٥

فالمجرمون يحرمون من جميع ذلك وينالونهم عقاب الاحتجاب والاعراض عنهم لأنهم فاقدي الاهلية ان يُقبل عليهم او ان ينظر إليهم حتى يزدادوا كمدا وحسرة مع عذابهم.

قال تعالى (صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنّهُمْ قَوْمٌ لاّ يَفْقَهُونَ)

الصرف

الصرف أو الانصراف هو الابتعاد والتفرق عن الشيء

وقد ورد ذكر هذه العقوبة الالهية في قوله تعالى (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَى بَعۡضٍ هَلۡ يَرَاكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُواْ صَرَفَ اللّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لاَّ يَفۡقَهُونَ} (١)

فمن يتدبر في كثير من العقوبات الالهية بحق المجرمين يجدها مجازاة من سنخ اعمالهم السيئة واثارا ونتاجا لما يمكرون من السيئات قال تعالى (اسۡتِكۡبَارًا فِي الأَرۡضِ وَمَكۡرَ السَّيِّئِ ۚ وَلا يَحِيقُ الۡمَكۡرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهۡلِهِ) (٢) وقال(وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ اللّهُ ۖ وَاللّهُ خَيۡرُ الۡمَاكِرِينَ (٣).

ان تفرق الناس عن الحق، وإيثار الباطل عليه ستكون عاقبته خسرا وذلك بأن يصرف اللّه قلوبهم فلا ينالون التوفيق والتسديد لأنهم خذلوا الحق ونصروا الباطل.

١- التوبة اية ١٢٧
٢- فاطر اية ٤٣
٣- الانفال اية ٣٠

وهذه سنة إلهية قائمة فمن ادبر عن الحق وابتعد عنه وآثر غيره عليه صرف اللّه قلبه عن التسليم للحق، وخذله في المواطن كلها قال عز وجل(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١)

قد يعكف قلب امرئ على أخلاقيات سيئة وعادات بالية ومناهج منحرفة خلال سنيين طوال وربما يهلك عليها وهو غافل او متغافل عن الهدى ودين الحق، لإنه تفرق عنه ولم يرد الا ما يتماشى مع مناه، وينسجم مع هواه فيخذله اللّه ويوكله إلى نفسه.

فاللّه تعالى حينما يضع بين أيدي الناس الدواء لدائهم ، ويبين لهم السبيل الأسلم لنجاتهم، والهدى الأكمل لإنقاذهم من ضلالتهم لكنهم يعرضون ويتولون ويستبدلون الأدنى بالذي هو خير ، فهم بذلك الانصراف والادبار لا يضرون الا انفسهم فاللّه تعالى غني عنهم وعن استجابتهم قال تعالى (قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) (٢) وقال عزوجل (ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا

١- الصف اية ٥
٢- البقرة اية ٦١

ۚ وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١). قال سبحانه(﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) .(٢)

فاستجابة الانسان لتعاليم السماء هي حياة ونور والاعراض عنها هو موت وظلمات قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تحْشَرُونَ (٣)

فالله تعالى مطلع على قلوب العباد فلو علم بان هؤلاء الذين أعرضوا عن الحق فيهم خيرا ولم يضعوا على قلوبهم غشاوة لهداهم وأنار قلوبهم لاتباع الحق قال تعالى (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٤)

ومضة

إن هذه الآية المباركة وإن كانت نازلة بحق المنافقين الذين انصرفوا وأعرضوا عن استماع لنداء الحق لكنها تسري أيضا على كل من

١- الاسراء اية ٧
٢- الاسراء اية ٧
٣- الانفال اية ٢٤
٤- الانفال اية ٢٣

أعرض عن قبول الحق واستبدل الاهواء، ومتع الحياة عليها، فصيرف اللّه قلبه عن وعي حقائق الآيات والحكم والبينات.

فما أكثر الذين يدعون انتمائهم الى الإسلام ويفتخرون بهويتهم الإسلامية لكنهم في واقعهم العملي منصرفين ومعرضين عن شرائع وتعاليم الإسلام وقوانينه الهادية لكل خير، وأخذوا يسيرون بأحكام وقوانين وضعية وسلوكيات تنسجم مع أهوائهم وشهواتهم، وكثير منهم يتفلسف بتعسف على أحكام الإسلام حسب هواه وعقله القاصر المحدود فيرميها بالظلم او أكل عليها الدهر وشرب.

فهؤلاء يتخلى اللّه عنهم ويصرف قلوبهم عن وعي معارف الدين، وفهم قيمه النبيلة ويذرهم في سباتهم وغفلتهم لأنهم لم يفتحوا صدورهم وعقولهم الى الآيات وما فيه من الحكم والمعارف والبينات، وتكبروا على شرائع السماء وابتدعوا لهم احكاما وضعية تتناغم وتنسجم مع اهوائهم ورغباتهم قال تعالى(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ

سَبِيلا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١).

وانصراف القلوب عن طاعة الله وإقبالها الى زينة الحياة الدنيا وصرفهم عن الانابة والتوبة بسبب قسوة القلوب هو عقاب واستدراج إلهي لهؤلاء الغافلين وهم لا يشعرون.

ان هؤلاء لا يدركون شدة العقاب الذي اوقعوا فيه أنفسهم ، ويجهلون عاقبة امرهم، والكثير منهم يظنون انهم على خير، بل سعداء بسلوكهم وأعمالهم، وأن لهم عند الله الحسنى.

فهذا الانخداع والتوهم الذي اوقعوا فيه أنفسهم لأنهم انصرفوا عن الحق، وحادّوا الله ونكبوا وانحرفوا عن الصراط فكان جزاؤهم أن يصرف الله قلوبهم عن الهداية والانابة قال تعالى (وَإِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٢) وقال (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٣).

---

١. الأعراف اية ١٤٦
٢. المؤمنون اية ٧٤
٣. التوبة اية ٦٣

فمن رغب عن الله أعماه، وزيّن له اعماله فيراها حسنة، ومن رغب إليه أدناه وبصّره عيوبه، وهداه الى الصراط وثبته عليه الى يوم يلقاه قال تعالى (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ).[١]

١- إبراهيم اية ٢٧

قال تعالى(كُلا نمِدّ هَؤُلاء وَهَؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ)

المدّ

المدّ: هو ما **يمَدُّ** به الشيءُ

الامداد حسب الرؤية القرآنية هو استمرارية المد الالهي للإنسان وفق سلوكه ومنهجه في الخير او الشر.

فالأمداد يشمل اصحاب الهداية والغواية، فأهل الهداية يرفدهم الباري بالتوفيق والتسديد لكل خير حتى يظفروا بغايتهم المثلى، ويمد اصحاب الغواية بزخارف الدنيا وزينتها حتى يزدادوا ضلالا وغيا قال عز وجل (قال تعالى (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) (١) وقال سبحانه (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلا نمِدّ هَؤُلاء وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢)

١- مريم اية ٧٥
٢- الاسراء اية ١٨

فاللّه تعالى يعد من اراد العاجلة واراد الاخرة، فلا حظر بالإمداد والعطاء، وكلاهما يسعيان الى غاية لكن شتان ما بينهما قال تعالى (لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الجَنَّةِ ۚ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (١) وقال (وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (٢)

فمن العقوبات الالهية المعنوية التي لا يشعر بها المجرمون وانها محل استدراج وامهال بل يحسبونها كرامة وفضلا هي إمدادهم بالمال والبنين وتوفير أسباب النعم المختلفة حتى لا يهتدوا سبيل الحق قال تعالى (أَيَحْسَبُونَ أَنمَا نمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الخَيْرَاتِ ۚ بَل لا يَشْعُرُونَ (٣) وقال سبحانه (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ (٤).

فالمدد الإلهي سلاح ذو حدين غير محظور على أحد من الطائفتين، فالذي يتخذ نعم اللّه مغنما ونسبها لنفسه تكبرا، وعاثَ في الأرض فسادا، فيبقى يفتتن بالاستدراج والإمداد حتى يجهز عليه عملُه ويرديه أملُه، واما الذي يستعين بنعم اللّه المتتالية

١- الحشر اية ٢٠
٢- فاطر اية ١٩
٣- المؤمنون اية ٥٦
٤- الأعراف اية ١٨٢

والمتتابعة في حرث الآخرة وابتغاء مرضات رب العزة فهو من شكر النعمة، وخاف النقمة.

اذن: من العقوبات المعنوية الالهية التي تصيب اهل الضلالة والانحراف هو امدادهم بالنعم، والتمكين لهم في الارض حتى يزدادوا اثما قال تعالى (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنما نمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ ۚ إِنمَا نمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١) وقال سبحانه(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ (٢).

قد يتوهم البعض بأن الغنى بأنواعه دليل الرضا الالهي، وان صاحبه له حظوة ومكانة عند خالقه وهذا الفهم الساذج نتيجة الجهل بسنة الله الجارية في العباد من البلاء او الاستدراج والإمهال روي عَنْ أَبِي عَبْدِ الله (عَلَيهِ السَّلام) قَالَ: كَمْ مِنْ مَغْرُورٍ

١. آل عمران اية ١٧٨
٢. يونس اية ٨٨

بمَا قَدْ أَنْعَمَ اللّه عَلَيْهِ وَكَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِسَتْرِ اللّه عَلَيْهِ وَكَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ. (١)

وروي عن أَبي عَبْدِ اللّه (عَلَيهِ السَّلام) إِنَّ اللّه إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً فَأَذْنَبَ ذَنْباً أَتْبَعَهُ بِنَقِمَةٍ وَيُذَكِّرُهُ الإِسْتِغْفَارَ وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ شَرّاً فَأَذْنَبَ ذَنْباً أَتْبَعَهُ بِنِعْمَةٍ لِيُنْسِيَهُ الإِسْتِغْفَارَ وَيَتَمَادَى بِهَا وَهُوَ قَوْلُ اللّه عَزَّ وَجَلَّ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ بِالنِّعَمِ عِنْدَ المَعَاصِي.(٢)

ومضة

نحن في هذه البحوث وان كنا نريد إلقاء الضوء على أهم العقوبات الروحية الإلهية التي تصيب المجرمين والمستكبرين ومن ضمنها امدادهم بالزينة ومتع الدنيا حتى يزدادوا غيا مع غيّهم بسبب تكبرهم واعراضهم عن الحق لكن ان مفهوم الامداد له معنى واسع وله مصاديق وامثلة كثيرة لا يقتصر في جانب معين بكلا قسميه أي للمؤمنين والمجرمين.

١- الكافي ج ٢ص ٤٥٢

٢- نفس المصدر

لكن لا بأس أن نُعرّج على مسألة الامداد الالهي في جانبها الإيجابي وكيفية تهيئة أسبابها ومتطلباتها الصحيحة حتى لا نسلك مسالك وطُرق اهل البدع والفسوق والجهل والاستكبار فنستحق بذلك الخذلان الإلهي ومدده في جانبه المسخط.

وذلك بأن نعد الاهلية لإمداد الخير والنصر والتوفيق من الله تعالى وفي نفس الوقت نزيل العقبات والموانع التي تحول دون وصول المدد الإلهي.

فالله تعالى قد ذكرَ في كتابه بان نصره مشروط بنصرة المؤمنين لدينه، والدفاع عن قيمه النبيلة، وجهاد في سبيله، وإعلاء كلمته فقال (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (١) وقال عزوجل (بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (٢)

فالله تعالى ليس بعاجز ان ينصر دينه، واستئصال شوكة المعتدين لكنه جرت حكمته ان يبتلي المؤمنين بشتى الفتن والشدائد حتى يميز الخبيث من الطيب قال تعالى (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ

١. سورة محمد (ص) اية٧
٢. آل عمران اية ١٢٥

ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١) وقال (مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يميزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ). (٢)

وكذلك التوفيق الإلهي في طلب العلم وكسب الارزاق وهداية العباد ونشر الإصلاح فكل ذلك متوقف على تهيئة الارضية المناسبة وتوفير عللها الصحيحة والكثيرة من قبل العبد لنزول المدد الإلهي عليه.

فاللّه تعالى لا يرزق جليس الدار من دون سعي وطلب لأنه تعالى قال في كتابه (هُوَ الَّذِي جعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (٣)

وكذلك من مقدمات تحصيل العلم السعي والنفرة اليه فقال (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (٤)

١- الانفال اية ١٧
٢- آل عمران اية ١٧٩
٣- الملك اية ١٥
٤- التوبة اية ١٢٢

إذن: فسُنّة اللّه جارية في العباد لا تقبل التبديل ولا التحويل، فما على العبد الا السعي في توفير شروطها وتحقيق ولوازمها حتى يسعفه اللّه تعالى بالمدد والتوفيق من كل ابوابه بل يزيده بواسع رحمته وفضله (لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (١)

وكذلك يستحق الإنسان الخذلان بتركه ما فيه صلاحه وفلاحه وتوليه الشيطان وسوف يستدرج بالنعم وتتوالى عليه متع الحياة وينسيه اللّه التوبة وعظيم الحوبة (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢)وقال (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٣) .

فمدد السماء بالخير في نزول مستمر، فما على المؤمن الا ان يطهر قلبه من اشواك المعاصي ويهيئ الارضية المناسبة لاستقبال

١- ق اية ٣٥
٢- يونس اية ٨٨
٣- الانعام اية ١١٠

الفيض، وهطول الغيث قال عزوجل (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) .(١)

فما نراه من التفاوت في التقوى والإيمان قوة وضعفا بين المؤمنين مرجعه الى هذه النكتة وهي بمقدار سلامة القلب وطهارته من أوساخ التعلقات الدنيوية، والمسارعة في العمل الصالح والاستعداد للقاء الله، والفوز برضاه.

فكلما طهر القلب من الشوائب، استحق بفضل الله اعلى المراتب، واحاطته العناية الإلهية من كل الجوانب، وقد دلّ على ذلك العديد من الشواهد في كتاب الله الصادق كقوله تعالى (وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢)وقوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا) (٣) وقوله (وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٤) وقوله (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٥).

١- الرعد اية ١٧
٢- الطلاق اية ٢
٣- الانفال اية ٢٩
٤- البقرة اية ٢٨٢
٥- العنكبوت اية ٦٩

فلا يمكن ان يحلّق الإنسان إلى عالم الروح والمعنى من دون مدد إلهي وعناية ربانية تمد له يد العون وتخرجه من ظلمات الهوى، وتنقذه من شِراك الشيطان.

وإذا ما اغلّ نفسه بحب الدنيا فقد قيّدَ جناحيه عن التحليق ، وحرمَ من نفسه من التسديد والتوفيق، وقصرَ همته فيما يفنى، وزهد فيما يبقى.

قال تعالى(وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ)

الكبّ على الوجه

انكب أي سقَط، انقلب، انحنى

توعد اللّه المجرمين والكافرين بان بكبّهم على وجوههم في النار لمقابلة اعمالهم السيئة في دار الدنيا عندما كانوا يلوون وجوههم ورؤوسهم للحق لما جاءهم من عند اللّه قال تعالى (وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١)

وقال سبحانه (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢)

وقد وصف القرآن الكريم الذي يسلك طريق الاعوجاج ويسير في طريق الضلالة ولم يمش سويا على الصراط المستقيم فهو مكبٌّ على وجهه أي يسير خلاف السير الطبيعي فلا يهتدي الى الحق سبيلا لأنه خرج بكفره وجحوده عن الفطرة الإنسانية وتمردّ على القوانين الالهية قال تعالى (أَفَمَن يمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣)

١- النمل اية ٩٠
٢- المنافقون اية ٥
٣- سورة الملك اية ٢٢

وبسبب إصرار الكفار والمنافقين في محاربة الله ودينه ولا يألون جهدا في إطفاء نور الله بأفواههم ومكرهم وإلقاء الفتن بين المسلمين يكون عقابهم السقوط والإلقاء والكبّ في النار قال عز وجل (فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (١)

ان العقوبات الأخروية للكفار هي من سنخ أعمالهم السيئة الدنيوية.

فمع ان العذاب واقع بهم في يوم القيامة لكن طريقته بحقهم مُذلة ومهانة وهو الكبّ والإلقاء في نار جهنم على الوجه، وذلك لكي يتألموا ويُعذبوا نفسيا وجسديا كما كانوا يعذبون المؤمنين في دار الدنيا.

إذن: فالكبّ عقاب نفسي زيادة على العذاب الجسدي، وهذا العقاب نتيجة ابتعاد الانسان عن صراط القويم ومواجهة الأنبياء والصالحين وما نزل عليهم من الهدى والفرقان بالكفر والطغيان.

فيوم القيامة تظهر للإنسان حقيقة أعماله السيئة فيراها بصورة جلية لا لبس فيها، وتنعكس آثارها الحقيقية على بدنه وروحه من

١- الشعراء اية ٩٩

التعذيب الجسدي والنفسي حتى يذوق وبال أمره وعاقبة عمله وما جنته يداه، وطويت عليه سريرته من النفاق والكفر وظلم العباد قال تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١)

ان الاعمال السيئة والعقائد الباطلة والأخلاق الفاسدة لها حقائق وصور تبُهت الانسان يوم تُبلى السرائر وتُبان الحقائق وتكون مقرونة معه الى ما شاء الله في علمه ومشيئته.

ان من حكمة التعّرض لهذه الصور والحقائق في القرآن الكريم حتى يعيش العبد اليقظة، وينظر في سلوكه، ويحذر من العواقب السيئة، وآثارها المهلكة التي تلازمه ملازمة الظلّ من ساعة موته الى حشره ثم يرى اثارها ويذوق وبالها بصورة تفوق تصور الانسان.

١- الانعام اية ٣٠

فعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ الحُصَيْنِ قَالَ : سَمِعْتُ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ المِنْقَرِيَّ يَقُولُ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ (صلى اللّه عليه و آله) فِي وَفْدٍ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي تميمٍ .

فَقَالَ لِي : " اغْتَسِلْ بمَاءٍ وَ سِدْرٍ " .

فَفَعَلْتُ ، ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهِ ، وَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللّهِ عِظْنَا عِظَةً نَنْتَفِعُ بِهَا .

فَقَالَ : " يَا قَيْسُ إِنَّ مَعَ الْعِزِّ ذُلا ، وَإِنَّ مَعَ الحَيَاةِ مَوْتاً ، وَ إِنَّ مَعَ الدُّنْيَا آخِرَةً ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً ، وَإِنَّ لِكُلِّ حَسَنَةٍ ثَوَاباً ، وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عِقَاباً ، وَإِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَاباً .

وَإِنَّهُ يَا قَيْسُ: لا بُدَّ لَكَ مِنْ قَرِينٍ يُدْفَنُ مَعَكَ وَهُوَ حَيٌّ، وَتُدْفَنُ مَعَهُ وَ أَنْتَ مَيِّتٌ ،

فَإِنْ كَانَ كَرِيماً أَكْرَمَكَ، وَإِنْ كَانَ لَئِيماً أَسْلَمَكَ، لا يُحْشَرُ إِلا مَعَكَ، وَلا تحْشَرُ إِلا مَعَهُ

، وَلا تُسْأَلُ إِلا عَنْهُ، وَلا تُبْعَثُ إِلا مَعَهُ ، فَلا تجْعَلْهُ إِلا صَالحاً ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صَالحاً

لَمْ تَأْنَسْ إِلا بِهِ، وَإِنْ كَانَ فَاحِشاً لا تَسْتَوْحِشْ إِلا مِنْهُ ، وَهُوَ عَمَلُكَ

" .

فَقَالَ قَيْسٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ لَوْ نُظِمَ هَذَا شعر [شِعْراً] لافْتَخَرْتُ

بِهِ عَلَى مَنْ يَلِينَا مِنَ

الْعَرَبِ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ يُقَالُ لَهُ الصَّلْصَالُ قَدْ حَضَرَ فِيهِ شَيْءٌ :

يَا رَسُولَ اللّهِ أَ فَتَأْذَنُ

لِي بِإِنْشَادِهِ ؟

فَقَالَ : " نَعَمْ " .

فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

تَخَيَّرْ قَرِيناً مِنْ فِعَالِكَ إِنمَا ** قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ

فَلا بُدَّ لِلإِنْسَانِ مِنْ أَنْ يُعِدَّهُ *** لِيَوْمٍ يُنَادَى الْمَرْءُ فِيهِ فَيُقْبِلُ

فَإِنْ كُنْتَ مَشْغُولا بِشَيْءٍ فَلا تَكُنْ *** بِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللّهُ تَشْغَلُ

فَمَا يَصْحَبُ الإِنْسَانَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ *** وَمِنْ قَبْلِهِ إِلا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ

أَلا إِنمَا الإِنْسَانُ ضَيْفٌ لأَهْلِهِ *** يُقِيمُ قَلِيلا عِنْدَهُمْ ثُمَّ يَرْحَل. (١)

١- بحار الانور ج ٧٤ ص ١٧٨

ومضة

ان انكباب الإنسان الى متع الدنيا بنهمٍ وشغفٍ من دون ادنى تحرز من عواقبها ولا تخوف من نتائجها تجعله في غفلة لا تُقاس، وقلب شديد المراس، وان يجادل ويشاكس مع أنه يسير باتجاه المعاكس قال تعالى(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا (١)

فالانكباب والتوجه الكلي إلى الدنيا المحرمة من دون التفات الى العواقب ستنعكس سلبا على عامله عند العرض على اللّه ويُكبّ في نار جهنم على وجهه مجازاةً لانكبابه على الدُنيا وغفلته عن الاخرة (جَزَاءً وِفَاقًا (٢)

وهذه المتعة القصيرة واللذة الحقيرة لطالما حذّرَ اهلُ البيت (عليهم السلام) منها ليعلمهم بما تؤول إليها نتائجها الخطيرة والتبعات المريرة.

١- الكهف اية ٥٤
٢- النبأ اية ٢٦

لكن سواد الأعظم من الناس يُعرضون عن نصائح ومواعظ الأنبياء والصلحاء ويميلون الى زخارف الدنيا لإنسهم بجمال الطبيعة، وإيثار العاجلة على نعيم الاخرة فقال علي عليه السلام تجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّهُ! فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ، وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ (الاقامة) عَلَى الدُّنْيَا، وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ، فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً(الصعبة)، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً، لاَبُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا، وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الأمُورِ، وَمُعْضِلاَتُ الْمَحْذُورِ. فَقَطِّعُوا عَلاَئِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى. (١)

١- نهج البلاغة

قال تعالى (سَنَسِمُهُ عَلَى الخُرْطُومِ)

السّمة على الخرطوم

يقال تَرَكَ سِمَةً عَلَى وَجْهِهِ: أيْ عَلاَمَةً.

المراد من السّمة هي العلامة التي تُوضع على أنف الكافر والظالم يوم القيامة نكالا واذلالا له قال تعالى (سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ) (١)

امّا لماذا جاء ذكر الخرطوم ولم يذكر الانف؟؟

الجواب: زيادة في التحقير والاهانة عند تشبيههم بخُرطوم الحيوان وتمييزهم عن غيرهم لأنهم لم يستفيدوا من عقولهم قال تعالى(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (٢)

فقد امتاز أهل العناد والضلال في مواجهة الأنبياء وما نزل عليهم من البينات والآيات بالأنفة والتكبر واستصغار واحتقار واستضعاف المؤمنين في كل زمان بغير حق واستفزازهم

١- القلم اية ١٦
٢- الأعراف اية ١٧٩

من الأرض قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (١).

فيوم القيامة يقتص منهم على جرائمهم، ويرون الضعة والهوان بسبب تكبّرهم على تعاليم السماء ودعوة الأنبياء قال عزوجل (وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٢)

ومضة

اودعَ اللّهُ تعالى في الانسان العقل وكرّمه وفضّله على كثير من خلقه بشتى النعم والمزايا قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٣).

١- البقرة اية ٨٧
٢- النساء اية ١٤
٣- الاسراء اية ٧٠

لكن الهوى والانفة واتباع خطوات الشيطان تجعل الإنسان لا يتبع نور العقل ولا يلبي نداء الأنبياء والصلحاء.

وإذا ما بقيَ على هذا الحال انسلخ عن الإنسانية وماثل الحيوانية بل أضلّ منها بسبب الرُكون الى متع الدنيا والتكبر على اتباع الهدى، وجنّدَ عقله وما يمتلك من الطاقات في محاربة الحق واهله وأخذ يدعي الالوهية تارة والربوبية تارة أخرى استعلاءً وافسادا في الأرض قال تعالى (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (١).

وقد جرت سُنّة الله في العباد ان يخزي الظالمين بشتى اساليب الخزي وفي الدارين قال تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لا يُنصَرُونَ (٢) وقال عز وجل(فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ

١- القصص اية ٤

٢- فصلت اية ١٦

الخِزْيَ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

(١) .

فكان وضع السّمة على خُرطوم الطُغاة والمستكبرين من اوضح مصاديق الإذلال والخزي ومن اشدّ العُقوبات النفسية وخاصة مع تشبيههم بخُرطوم الحيوان وعلاوة على ذلك افضحاهم على رؤوس الأشهاد.

فقد يسمع الكثير من المجرمين بهذه الحقائق القرآنية التي لا يعتريها الباطل البتة، ولا تمد إليها يد التحريف والتزييف ولكنهم لجحودهم وكنودهم بالآخرة وجبروتهم في الأرض لا يخضعون للحق، ولا يستسلمون لنداء الفطرة (وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (٢)

والأنكى من ذلك أنهم يتبجحون بكل وقاحة وصلافة بأعمالهم الوضيعة، وجرائمهم الشنيعة لكي يُشار لهم بالبنان، ويمتازوا بين الأقران بالتعسف والطغيان.

١- الزمر اية ٢٦
٢- الاسراء اية ٤٦

فهذه الانفة وحب الظهور والتمايز سيظهر جليا عند الحشر حينما يمتازون بوضع سمة الخرطوم عليهم، اهانة وتمييزا لهم عن غيرهم قال عزوجل (يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ (١).

وكم لهذه الحقيقة القرآنية من نظائر في الروايات في مسالة تمييز المجرمين عن غيرهم بصفاتهم واخلاقهم التي تلبّسوا بها في الدنيا حتى يفضحوا على رؤوس الأشهاد كالمرائي والغادر وغيرهم فقد روي عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): إنّ المُرائيَ يُنادى يَومَ القِيامَةِ: يا فاجِرُ! يا غادِرُ! يا مُرائي! ضَلَّ عَمَلُكَ، وبَطَلَ أجرُكَ، اذهَبْ فَخُذْ أجرَكَ ممَّن كُنتَ تَعمَلُ لَهُ. (٢)

وكذلك روي عن علي عليه السلام: وَاللّهِ ما مُعاوِيَةُ بِأَدهى مِنّي، ولكِنَّهُ يَغدِرُ ويَفجُرُ، ولَولا كَراهِيَةُ الغَدرِ لَكُنتُ مِن أدهَى النّاسِ، ولكِن كُلُّ غُدَرَةٍ فُجَرَةٌ، وكُلُّ فُجَرَةٍ كُفَرَةٌ، ولِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعرَفُ بِهِ يَومَ القِيامَةِ. وَاللّهِ ما اُستَغفَلُ بِالمَكيدَةِ، ولا اُستَغمَزُ بِالشَّديدَةِ. (٣)

١- الرحمن اية ٤١
٢- ميزان الحكمة ج ٢ ص ١٠١٧
٣- نهج البلاغة ح ٢ ص ١٨٠

قال تعالى (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ)

الختم على الأفواه

والخَتْم على القَلْب: أَن لا يَفهَم شيئاً ولا يَخرُج منه شيء كأَنه طبع.

ان ليوم القيامة مواقف عديدة، وتتُخذ بحقّ الكُفار والطغاة والمنافقين إجراءات واساليب مختلفة وشديدة ومنها الختم على الأفواه قال تعالى (الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١).

وهناك عدة احتمالات لختم افواههم نذكر جملة منها:

اولا: غلقُ باب الاعتذار والاستعتاب منهم قال تعالى (وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٢) وقال سبحانه (﴿ فَيَوْمَئِذٍ لا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[٣]

ثانيا: اقامة الايدي والارجل بالشهادة عليهم حتى تكون الحجة أبلغ واقوى باعتبارها أقرب والصق شيء بالإنسان، وبجوارحه استعان في اكتساب الذنوب والآثام، وتعدى على حرمات اللّٰه قال

١- يس اية ٦٥
٢- المرسلات اية ٣٦
٣- الروم اية ٥٧

تعالى (يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعۡمَلُونَ﴾(١)

ثالثا: زيادة في الإذلال والاحتقار حينما لا يسمح لهم بالكلام لأنهم ليسوا اهلا لذلك.

رابعا: مجازاة بالمثل على أعمالهم السيئة التي مارسوها ضد الأنبياء والصلحاء فقد سعوا بكل جهدهم وأساليبهم في إسكات صوت الحق، واخراس دعوة المحق بألسنتهم كقولهم لنبي الله نوح عليه السلام (قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمَرۡجُومِينَ) (٢) لأنه كان يدعوهم الى التوحيد، ونبذ الشرك بالله تعالى (قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلا وَنَهَارًا (٣)

اذن: من العقوبات النفسية التي تنال الظالمين يوم القيامة هي الختم على افواههم حتى يشعروا بالمهانة والصَغَار.

١- النور اية ٢٤
٢- الشعراء اية ١١٦
٣- نوح اية ٥

ومضة

فكم من اهات ولوعات تختلج في قلب كل ظلوم كفار، ومتكبر مختال يريد ان يبوح بها ويتبرأ منها لعلها تشفع له عند ربه، وتنجيه من عذابه لكن هيهات هيهات.

فأنت أيها المتكبر كنت تُنادي بكبريائك وجبروتك في ختم الأفواه وقتل حرية الناس، وتجريم وتعذيب من آمنَ بالله، وكفرَ بالأوثان، واصنامَ الانس، رافع سوط التهديد والوعيد بالسجن والرجم والاستفزاز من الارض قال تعالى (قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (١) وقال (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٢)وقال (وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلا قَلِيلا (٣).

١- الشعراء اية ٢٩
٢- مريم اية ٤٦
٣- الاسراء اية ٧٦

فاليوم تُخرس الأفواه عن الكلام ليرى الإنسان ويسمع جوارحه هي من تشهد عليه بما كسب بها من المعاصي، فلا تُرد شهادتهم ولا يُكذب قولهم.

فيا لها من اهانة وحسرة عندما تُختم تلك الأفواه التي كانت تجادل وتُعارض وتهدد وتتوعد بكل جبروتها وسطوتها على من جاء لإنقاذهم من عبودية الأوثان، وإخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان.

فهذه الأفواه التي كانت تأمر بالكفر والعصيان، وتدعو الى الظلم والطغيان، وتبث وتروّج للفساد في البلاد.

وهذه الأفواه التي كانت تُخادع اللّهَ بالإيمان، وتستبطن النفاق وتخلق الأقاويل الباطلة والأكاذيب الزائفة لإطفاء نور اللّه في الأرض.

فاليوم تُختم هذه الافواه البائسة، وتُخرس ولا يُسمح لها بالكلام تحقيراً لأصحابها حتى تتوالى عليهم الحسرات والالام النفسية

والروحية قبل ان تذوق ألم النّار قال عزوجل (نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦)

الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾.(١)

١- الهمزة اية ٧

قال تعالى (نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ

ملازمة القرين

القرين :هو المصاحب الملازم

تترى العقوبات المعنوية من اللّه المُتعال على الانسان الخارج عن ولاية الرحمن، الملتجئ الى ولاية الشيطان.

فمن سنة اللّه الجارية ان من يعرض ويغفل عن ذكر اللّه يقّيض اللّه له شيطانا يلازمه لا ينفك عنه قال تعالى (وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (١).

وهذا الاعراض والتغافل والادبار سيؤدي بالإنسان الى تولية الشيطان وتخاذه وليا من دون اللّه يأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه حتى يورده الهلكة وقال سبحانه (كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢).

فالإنسان لا يزال حرا ما دام في ذكر اللّه وفي طاعته ويلتجئ إليه ويدعوه في السراء والضراء.

١- الزخرف اية ٣٦
٢- الحج اية ٤

وإذا ما بدرت منه بعض الهفوات والأخطاء أسرع إليه في التوبة واستغفر من الحُوبة.

لكن إذا اعشى عن ذكر اللّه واخذ يرتكب المعاصي صغيرها وكبيرها من دون مبالاة وخشية من اللّه وبقي على هذا الحال حرمه اللّه من عنايته وقيّض له شيطانا يلازمه، لأنه زهد بكرامة اللّه ورحمته وأقبل يتبع خطوات الشيطان واتخذه وليا ومعبودا من دون اللّه ذلك هو الخسران المبين قال تعالى (وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ([1]).

ومضة

ان قرناء السوء الذين يُقيّضون للمجرمين والعاصين ليس بالضرورة ان يكونوا من شياطين الجن بل يشمل أيضا شياطين الإنس من الفساق والمنحرفين الذين يسلكون بهم سبل الضلال والانحراف عقابا لهم قال تعالى(وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (٢)

١- النساء اية ١١٩

٢- فصلت اية ٢٥

وهذه الحقائق القرآنية التي نزلت من حكيم عليم ينبغي ان تحيي قلب الانسان وتنّور بصره وتجلي الترسبات في باطنه وتطهرها .

فمن السذاجة والجهالة أن يرتع الإنسان في المعاصي ويترك الطاعات ويقضي وقته في الترهات والسخافات ويلازم أهل اللهو والموبقات، بينما يأمّل نفسه بالتوبة كأنما هو مخلد في الحياة.

فان تتابع الذنب تلوّ الذنب يُعمّق في القلب شغف حب الدنيا وينسي ذكر اللّه، وتضعف الى التوبة رغبة وإرادة الإنسان، وتقوى قبضة الشيطان.

لذا ينبغي ان لا نغفل عن هذه الحقائق والبينات، وأن نحذر من مغبة السيئات فلا ضمان للإنسان بان يقرن له الرحمن شيطانا اذا ما بقي يخوض في اللهو واللعب والعصيان (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (١).

فما أكثر الذين يتظاهرون بالإسلام والايمان بينما هم أبعد الناس عن قيمه وأحكامه وتعاليمه، وابعدهم تطبيقا في حياتهم وسلوكياتهم الاخلاقية والاسرية والاجتماعية بل سلوكهم يوافق

١- المعارج اية ٤٦

هوى النفس ورضى الشيطان وبالتالي هو باعث لسخط الرحمن

قال تعالى (اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١) .

ومضة اخرى

ان اقتصار اهتمام الإنسان بالدنيا من خلال التمتع بمفاتنها الخادعة، وزخارفها الزائلة تجعله يعيش حالة الغفلة عن ذكر اللّه والاستعداد ليوم لقائه.

وكلما ازداد شغفاً بها وتعلقاً فيها ازداد بُعداً عن ذكر اللّه وإذا ما بقي على الحال اتبعه الشيطان لغوايته لكي يتمكن من الولوج إلى قلبه وعقله فيصول ويجول كيفما يشاء ويكون قرينه وخليله في الدارين قال سبحانه (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (٢)

١- المجادلة اية ١٩
٢- الأعراف اية ١٧٥

وقال تعالى (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ (٢٧) قَالَ لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ (١).

ومن خطبة امير المؤمنين عليه السلام (اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لأَمْرِهِمْ مِلاكاً وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكاً فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الخَطَلَ فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرِكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ . (٢)

١- ق اية ٢٨

٢- نهج البلاغة

قال تعالى(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ)

عقاب المسخ

يقال مسَخَه اللّهُ: أي حوَّل صورتَه إلى أخرى أقبح منها؛ شوّه صورتَه، أفقده طبيعتَه الخاصّة.

فقد وقع العقاب المسخ بأصحاب السبت حيث جعلهم اللّه تعالى على شكل قردة وخنازير بسبب تعدي بعض بني اسرائيل على حدود اللّه والاستخفاف بأوامره قال تعالى (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١) وقال سبحانه (قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ۚ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٢)

لو نظرنا إلى مسألة المسخ على هيئة قردة وخنازير سنلاحظ ان هذا العقاب يتناسب مع ضعة نفوسهم ومنزلتهم وانهم ليسوا اهلا للتقدير وكذلك لتنفير الناس من حولهم.

١- البقرة اية ٦٥
٢- المائدة اية ٦٠

فهم خرجوا عن طور الانسانية بسبب اطفاء نور عقولهم وفطرتهم، وتحديهم لإرادة اللّه، وتعديهم في السبت.

وانهم بقوا ثلاثة ايام ثم هُلكوا بعد ذلك حتى يروا بشاعة العقاب الذي نزل بهم من النكال والخزي وأنهم فقدوا قيمتهم ومنزلتهم بمسخهم.

وقد ورد في كُتب التفسير إن مع مسخهم على هيئة خنازير وقردة لكن بقيت ارواحهم الإنسانية لم تتغير خلال تلك المدة حتى يتمكنوا من تمييز نوعهم عن غيرهم من الحيوانات ولكي يعيشوا الأسى واللوعة.

ولا شك ان هذا العقاب الالهي كان له وقعة عظيمة على نفوسهم وما جنته أيديهم وما آلت إليه عاقبة عملهم قال تعالى (كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ) . (١)

وفي نفس الوقت ان هذا المسخ لا يخلو من عبرة وموعظة لغيرهم لعل هناك من يعتبر ويحذر من سطوة اللّه وشديد نكاله قال تعالى (فَجَعَلْنَاهَا نَكَالا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٢) .

١- البقرة اية ١٦٧
٢- البقرة اية ٦٦

ومضة

ان العقاب الإلهي يتنوع ويتعدد ويتفاوت في الشدة حسب نوعية

وعظمة الجريمة التي يرتكبها الإنسان

فالعقاب الإلهي يبدأ بالتدريج مع الأقوام المشركة والمستكبرة

بالأدنى والأقل عذابا ثم يأخذ بالتصاعد شدة ويكبر لاستمراره

جحودهم وتحديهم.

وهذا التدرج في العقاب رحمة بهم لعلهم يرجعون الى ربهم

ويستغفرونه قال تعالى (وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ

الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١)

فالمسخ الذي أصاب أصحاب السبت لعنادهم المتكرر واستخفافهم

بأوامر الله.

فقد نزل بهم العذاب ليروا حقارة أنفسهم وان الله أخرجهم من

صورة الانسان الى هيئة الحيوان تحقيرا لهم ليعلموا أنهم لا مكانة

ولا منزلة لهم حتى في صورة الإنسان، ولكي يتعذبوا روحيا ونفسيا

قبل العذاب الأكبر.

١- السجدة اية ٢١

قال تعالى(إِنۡ هُمۡ إِلا كَالأَنۡعَامِ ۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلا)

التشبيه والتمثيل

الشَّبِيهُ: هو المِثْل، نظير ومثيل

ورد في القرآن الكريم العديد من التشبيهات السيئة بحق الكافرين والمعاندين فتارة يشبههم القران بعموم الأنعام وأخرى بحيوان خاص كالكلب والحمار او بالجماد كالخشب المسندة لوجود تشابه والعلقة بينهم.

ولا شك أن هذا التشبيه نوع تسخيف ومهانة لهم لتسافلهم وقساوة قلوبهم وإطفاء نور عقولهم وفطرتهم وكذلك لبيان مستوى تفكيرهم المتدني.

فحينما تُعبد الأهواء وتحجم العقول وتخرس الألسن عن قول الحق، ويغلب طابع الانانية، ويقتصر همّ الإنسان على إشباع غريزته، ونيل مقاصده المحرمة، والسير على تقليد الآباء والعادات الموروثة فلا ضير انه بهذه الكيفية قد اطمر عقله وخرج عن دائرة الإنسانية وتساوى مع البهيمية بل اضل سبيلا (أَمۡ تحۡسَبُ أَنَّ

أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَ ۚ إِنۡ هُمۡ إِلا كَالأَنۡعَامِ ۖ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلا ([1]).

فاللّه تعالى حبا الإنسان بشتى النعم وفضله وكرمه على سائر المخلوقات وأفاض عليه بنعمة العقل، ومنّ عليه بإرسال الأنبياء ،وإنزال الكتب لهدايته وايصاله الى غايته المنشودة وهي العبودية للّه وحده، ونبذ الأنداد بجميع أشكالها ومسمياتها لكن اذا ما قابل هذه الحجج بالإنكار، واستبد برأيه بكل وقاحة واصرار ، وراح يعبد هواه، ويتبع مناه، فهو بهذا الحال قد استبدل النعم الالهية بغيرها من الأشياء المبتدعة مادية او فكرية التي نسجها له الشيطان، والنفس الامارة بالسوء، واغتّر بما لديه من الوسائل المخولة بين يديه ظناً منه أنها خير بديل عن تعاليم السماء وهدي الأنبياء.

فهؤلاء أيضا مثلهم كالأغنام فكما ان الراعي يعجز عن تحذير اغنامه إذا ما داهمه الخطر لأنها لا تفهم شيئا سوى النعيق والنداء المبهم من الراعي.

---

١. فرقان اية ٤٤

فحينما اغلقوا على انفسهم أبواب الهداية وعكفوا على تقليد الإباء والعادات السيئة وصموا اذانهم عن سماع صوت الحق، فهم بهذه الكيفية لا يعون شيئا ولا يهتدون سبيلا قال تعالى (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ (١)

او مَثَلُ المعرضين عن الحق كالكلب الذي من عادته اللهث سواء كان من عطش او اعياء او لا!

أي سواء حملتهم المسؤولية ورايتهم الآيات الإلهية او ذكرتهم بالله واليوم الاخر فهم لا يهتدون بسبب عنادهم وتكبرهم.

فهؤلاء اخذوا يلهثون وراء متع حياة الدنيا واكثروا الوغول والافراط بها بسبب قلوبهم المريضة ولم يتحملوا الأمانات الالهية ولم يرعوها حق رعايتها ولم يستفيدوا من البينات الواضحة والحجج البالغة قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تحمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ

١- البقرة اية ١٧١

تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١) .

او كالحمار الذي يحمل أسفارا قيّمة ذات هدى عظيمة لكن لا يعي قدرها وشرفها قال عزوجل (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢)

ان تشبيه هؤلاء الكفرة الفجرة بهذه النعوت البليغة يعد من التوبيخ الشديد والاستهانة بهم وبيان قدرهم المتدني.

فكيف بهذه القلوب الفارغة والعقول المتباينة الساذجة ان تخضع لأمر الله وتؤمن بما نزل على رسوله وتتواضع للحق وتتجنب الباطل وتهتدي إلى دين الله قال تعالى (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٢) وقال (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ

١- الأعراف اية ١٧٦
٢- الجمعة اية ٥
٣- إبراهيم اية ٤٣

كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (١).

فهؤلاء لم يقدّروا قيمة النعم والطاقات الجبارة المفاضة عليهم من قبل اللّه حتى يفوزوا بكرامة الدنيا ونعيم الاخرة انما أحجموا تفكيرهم بشهوات عالم المادة واقصروا هممهم بفتات زائل وزهدوا بالحكمة والتزكية والعلم والمعرفة فأصابهم الصغار، لطاعتهم أهوائهم، وعكوفهم على تقليد اباءهم.

١- المنافقون اية ٤

قال تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)

التوبيخ

من العقوبات النفسية الروحية التي تنال المجرمين يوم القيامة هي تلقيهم كلمات من رب العزة.

في هذه الكلمات يوجد توبيخ شديد اللهجة، وتعبر ايضا عن حقيقة ضعفهم وذلهّم ومنزلتهم الخسيسة كقوله تعالى (ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ)(١).

يا أيها الإنسان المغرور المتغطرس الذي كنت تدعي بكل وقاحة بان لك العزة والكرامة {يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ} (٢)

فبغيت بجبروتك وسطوتك على المؤمنين واستضعفتهم في الأرض بغير حق فاليوم سنظهر حقيقة عزتك وكرامتك المزيفة وتذوق وبال أمرك.

١- الدخان اية ٤٩
٢- المنافقون اية ٨

ان المجرمين في يوم القيامة في امس الحاجة الى شفيع يخلصهم مما هم فيه من العذاب ويتوسلون بشتى الوسائل لعلهم ينقذون انفسهم من هذا المصير المشؤوم ولو بالموت الابدي (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (١)

بينما يأملون أنفسهم النجاة والخلاص فيأتيهم النداء (قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ﴾. (٢)

فهذه العبارات لا يعلم مدى شدتها ووقعتها على قلوبهم الا اللّه، فهي كالصاعقة تنزل عليهم تحطم كل امالهم واحلامهم.

فاليوم نريكم حقيقة عزتكم وكرامتكم الباطلة وتذوقوا شر أعمالكم التي قدمتموها لأنفسكم، ونريكم لمن العزة والكرامة (يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.(٣)

١- الزخرف اية ٧٧
٢- المؤمنون اية ١٠٨
٣- غافر اية ١٦

قال تعالى(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا)

زيادة في المرض

المَرَضُ القلبي: هو يطلق على الشك في الحقّ، والنفاق، والفتور عن تقبُّل الحقّ وغير ذلك.

قلنا في البحوث السابقة بان تعالى يختم ويطبع على قلوب المجرمين والكفار بغشاوة تحول دون هدايتهم بسبب تعنتهم وكفرهم.

وفي هذا البحث ان هذه القلوب التي طبع اللّه عليها بكفرهم (وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١)

يزيدها اللّه تعالى مرضا على مرضها قال تعالى(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٢)

ما دمتم قد اخترتم طريق الضلال وطمستهم فطرتكم بأعمالكم وأيديكم وامرضتم قلوبكم بسوء أفعالكم ستزدادون مرضا وغيا .

١- النساء اية ١٥٥
٢- البقرة اية ١٠

والله كما يزيد مريضي القلوب من الكفار والمجرمين كذلك يزيد المتقين هدى وإيمانا قال سبحانه (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١)

وهذه الحقيقة القرآنية هي من اوضح مصاديق المد الالهي الذي تناولناه في بحث مستقل حيث قلنا بان الله يمدّ المؤمنين بالتوفيق والتسديد لانهم ارادوا الاخرة ويمدّ الكافرين بزينة وطغيان وملك حتى يزدادوا غيا وضلالا لانهم ارادوا العاجلة (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُّمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢)

فهذه الآيات تبّين السُنة الالهية في عباده في المد لكلا الطائفتين والمنهجين وفق اختيار المنهج والطريق المتبع.

١- سورة محمد (ص) اية ١٧
٢- الاسراء اية ٢٠

اذن: فبما ان المجرمين قد تسببوا في تعطيب وامراض قلوبهم بأيديهم وبسوء اختيارهم، فانه سيسري عليهم القانون الالهي وهو الزيادة في المرض والاثم (وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنمَا نمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ ۚ إِنمَا نمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ [1].

ومضة

من الواضح ان زيادة المرض يُعقّد ويُصّعب أمر الهداية والتوبة والإنابة على الانسان ويجعله مستأنسا بعمله، غافلا عن الهدى، وتراه يلهو ويلعب من غير اكتراث بالعاقبة ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٢)

لذا من رحمة الله في عباده المؤمنين أنه حثهم على الاستغفار والتوبة حتى لا يمرض القلب ويصاب بالنكس والقسوة.

فقد روي عن رسول اللهِ صلى الله عليه وآله : إنّهُ لَيُغانُ عَلى قَلبِي ، و إنّي لأستَغفِرُ اللّهَ في كُلِّ يَومٍ سَبعينَ مَرّةً. (٣) وروي

١- آل عمران اية ١٧٨
٢- الحجر اية ٣
٣- ميزان الحكمة ج ٣ص ٢٢٧٨

عن الإمام الصّادق عليه السلام: كانَ رسولُ اللّه ِ صلى اللّه عليه وآله يَتوبُ إلَى اللّه ِ في كلِّ يَومٍ سَبعينَ مَرّةً من غَيرِ ذَنب. (١)

وروي عن أبي عبد اللّه عليه الس كانَ رسولُ اللّه ِ صلى اللّه عليه وآله يَتوبُ إلَى اللّه ِ عَزَّ وجلَّ في كُلِّ يَومٍ سَبعينَ مَرّةً. فقلتُ: أ كانَ يقولُ: أستَغفِرُ اللّه َ وأتوبُ إلَيهِ ؟ قالَ: لا ، ولكنَّ كانَ يقولُ : أتُوبُ إلَى اللّه . (٢)

وفي نفس الوقت تجد الشريعة المقدسة حذرت من اتباع الهوى وطول الامل مخافة من قسوة القلب، (فيما ناجَى اللّه ُ عز وجل بهِ موسى عليه السلام: يا موسى ، لا تُطَوِّلْ في الدُّنيا أملَكَ فَيَقسُوَ قَلبُكَ ، والقاسي القَلبِ مِنّي بَعيدٌ.(٣)

روي عن الإمام الباقر عليه السلام: إنَّ للّه ِ عُقوباتٍ في القُلوبِ والأبدانِ: ضَنْكٌ في المَعيشةِ ووَهنٌ في العِبادَةِ، وما ضُرِبَ عَبدٌ بِعُقوبَةٍ أعظَمَ مِن قَسوَةِ القَلبِ. (٤)

١- نفس المصدر السابق
٢- ميزان الحكمة ج ٣ص ٢٦١١
٣- نفس المصدر
٤- نفس المصدر

قال تعالى(وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)

حرمان الكلام والنظر

من أعظم المفاخر والكرامات التي خصّها اللّه تعالى لبعض أنبيائه أن يكلمهم دون واسطة وحي.

ولذا نلاحظ ان اللّه تعالى قد منّ على بعض انبيائه بهذه الكرامة لعلو شرفها قال تعالى (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ ۖ) (١) وقال عز وجل (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٢)وقال (وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا (٣)

وربما شرفية الكلام مع اللّه تتجلى بصورة أسمى وأكمل يوم القيامة لعباده المؤمنين لكن هذه الكرامة المباركة يحرم منها المجرمون ازدراءً بهم لأنهم ليسوا محلا للكرامة ولا أهلا للتقدير فقد كانوا يكتمون الحق وما نزل عليهم من الهدى والفرقان قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا

١- البقرة اية ٢٥٣
٢- الأعراف اية ١٤٤
٣- النساء اية ١٦٤

قَلِيلا ۚ أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١)

وكذلك هؤلاء الكفار والفجرة يحرمون من كرامة النظر إليهم مقتا واستخفافا بهم لانهم قد اغمضوا عن رؤية الحق وعموا عن التواضع والتسليم لما شاهدوه عيانا من المعجزات والبينات قال تعالى(إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلا أُولَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢). وقال سبحانه (وقال سبحانه (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٣)

فلا ريب ان هذا الحرمان من الكلام معهم والنظر إليهم يعد عقابا نفسيا وروحيا عظيما، وهو دارج في سلوك الانسان فقد يمتنع الأب من الحديث والنظر الى أحد أبنائه لعقوقه وعدم طاعته

١- البقرة اية ١٧٤
٢- آل عمران اية ٧٧
٣- الأعراف اية ٦٤

نكالا وازدراء به مما يؤدي ذلك السلوك أن يعيش العاقّ حالة من

العزلة النفسية ويصاب بالعقوبة الروحية.

قال تعالى(كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ)

التثبيط

يقال ثَبَّطَ عَزِيمَتَهُ: أي أَضْعَفَهَا وَجعَلَهَا حَائِرَةً، أَوْهَنَهَا

ان اللّه تعالى يلهم عباده المؤمنين فعل الخيرات، ويوفّقهم في بلوغ الكمالات، ونشر الإصلاح، ونيل الفلاح لان فيهم بذرة حسنة، ونية طيبة، وعقيدة صلبة، وإيمان راسخ، وعهد صادق، قد ثبتوا على النوايا الصادقة، والعزائم الراسخة ولم ينقضوا الميثاق وسارعوا في السباق (مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا (١).

فما دام المؤمن متمسك بدينه ويقدمه على طاعة هواه والشيطان فاللّه تعالى يسعفه ويسدده ما شاء من التوفيق ويعصم ويحول عنه ما شاء من المعاصي روي عن عليّ عليه السلام: كَما أنَّ الجِسمَ والظِّلَّ لا يَفتَرِقان، كذلكَ الدِّينُ والتَّوفيقُ لا يَفتَرِقانِ.(٢)

١- الاحزار اية ٢٣
٢- ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٦٠٦

وروي عن الإمام الصّادق عليه السلام- في قَولِهِ تعالى :(ومَا تَوْفِيقي إلا بِاللّهِ) وقَولِهِ:(إنْ يَنْصُرْكُمُ اللّهُ فَلا غالِبَ لَكُمْ وإنْ يَخْذُلْكُم فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ)-: إذا فَعَلَ العَبدُ ما أمرَهُ اللّهُ عَزَّوجلَّ بهِ مِن الطّاعَةِ كانَ فِعلُهُ وَفْقاً لأمرِ اللّهِ عَزَّوجلَّ وسُمِّيَ العَبدُ بهِ مُوَفَّقاً ، وإذا أرادَ العَبدُ أن يَدخُلَ في شيءٍ مِن مَعاصِي اللّهِ فَحالَ اللّهُ تبارَكَ وتعالى بَينَهُ وبَينَ تلكَ المَعصِيَةِ فتَرَكَها كانَ تَركُهُ لَها بِتَوفيقِ اللّهِ تعالى ذِكرُهُ ، ومَتى خَلّى بَينَهُ وبَينَ تِلكَ المَعصِيَةِ فلَم يَحُلْ بَينَهُ وبَينَها حتّى يَرتَكِبَها فَقَد خَذَلَهُ ولَم يَنصُرْهُ ولَم يُوَفِّقْهُ.(١)

ومع ذلك فان العبد مهما كان ساعيا الى فعل الخيرات وطالبا لنشر الاصلاح في الامة فإنه لا يدرك مناه ويحقق رجاه إلا بتوفيق اللّه وتسديده ورعايته وتمكينه.

فاللّه تعالى هو الموفق لكل عمل منهم (إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٢)

١- ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٦٠٦
٢- هود اية ٨٨

اما من تزلزلت نياتهُم، وداخل قلوبهم الريبُ والظنون، وآثروا الحياة الدنيا على الآخرة فهؤلاء يذرهم اللّه تعالى في سباتهم وضلالهم، ويثبط عزائهم عن فعل الخيرات او تقديم التضحيات (وَلَوْ أَرَادُوا الخُرُوجَ لأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (١).

فيالها من خسارة كبيرة عندما يحرم المرء من العزيمة والنشاط ويضعف ويتقاعس أمام فعل الخيرات والمبرّات او يمنع من الإلهام الالهي في عمل الصالحات، وهو لا يدرك أن ذلك الحرمان هو نتيجة الخذلان الإلهي له لأنه لم يهيئ الارضية المناسبة لنزول البركات والتوفيق للطاعات قال تعالى (وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٢) .

اذن من العقوبات الالهية التي تنال المنافقين والمجرمين هو تثبيطهم عن فعل الخيرات وتقديم التضحيات وحرمانهم من المشاركة في كثير من أعمال البرّ لأن قلوبهم مريضة بشتى الأمراض الروحية.

١- التوبة اية ٤٦
٢- الانفال اية ٢٢

ومضة

إن أسباب الخذلان الإلهي لكثير من الناس لوجود موانع كثيرة تحول دون نيل التوفيق الإلهي.

وهذه الموانع هي بلا شك من صنع الانسان نفسه بسبب تقصيره واهماله فهو الذي يضع الموانع والأسباب المثبطة والحائلة أمام التوفيقات الالهية لفعل الخيرات.

ولعل في دعاء الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام فيه اشارة الى ذلك المعنى حيث ذكر جملة من الموانع الصادّة والحائلة عن بلوغ الكمال والتي تؤدي الى الخذلان ، والمثبطة عن اتيان الطاعات، وعمل الصالحات يقول (مالِي كُلَّما قُلْتُ قَدْ صَلُحَتْ سَرِيرَتِي وَقَرُبَ مِنْ مَجالِسِ التَّوّابِينَ مَجْلِسِي عَرَضَتْ لِي بَلِيَّةٌ أَزالَتْ قَدَمِي وَحالَتْ بَيْنِي وَبَينَ خِدْمَتِكَ ، سَيِّدِي لَعَلَّكَ عَنْ بابِكَ طَرَدْتَنِي وَعَنْ خِدْمَتِكَ نَحَّيْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُسْتَخِفا بِحَقِّكَ فَأَقْصَيْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي مُعْرِضا عَنْكَ فَقَلَيْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ وَجَدْتَنِي فِي مَقامِ الكاذِبِينَ ، فَرَفَضْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي غَيْرَ شاكِرٍ لِنَعْمائِكَ فَحَرَمْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ فَقَدْتَنِي مِنْ مَجالِسِ العُلَماءِ فَخَذَلْتَنِي

، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الغافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي آلِفُ مَجالِسَ البَطَّالِينَ فَبَيْنِي وَبَيْنَهُمْ خَلَّيْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ لَمْ تحِبَّ أَنْ تَسْمَعَ دُعائِي فَباعَدْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ بِجُرْمِي وَجَرِيرَتِي كافَيْتَنِي ، أَوْ لَعَلَّكَ بِقِلَّةِ حَيائِي مِنْكَ جازَيْتَنِي؟

قال تعالى(دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ)

الدحر

يقال دَحَرَه: أي أبعدَه؛ دفَعَه بعنفٍ وطردَه والمدحور هو المطرود.

تتوالى العقوبات الروحية والقلبية على المجرمين والطغاة مع العقوبات الجسدية التي لا يعلمها شدتها إلا اللّه تعالى.

فمن تلك العقوبات بحق المجرمين هي إبعادهم وطردهم من رحمة اللّه وحرمانهم من جزيل عفوه وعدم شمولهم بالشفاعة لشقاوتهم واستكبارهم قال عزوجل (دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (١) وقال (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (٢) وقوله (ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا (٣)

فيالها من عاقبة مخيفة، ونهاية مخزية، وشقاوة مؤلمة، وآلام نفسية رهيبة، وعقوبات باطنية شديدة، تنزل بحقهم، حيث تُؤصد

١- الصافات اية ٩
٢- الاسراء اية ١٨
٣- الاسراء اية ٣٩

الأبواب بوجههم، ويفقدون الأمل، ويعضون أنامل الندم على ما فرطوا في جنب الله.

فهم استحقوا النفي والإبعاد والطرد والاخلاد لأنهم ابتعدوا عن الصراط وانكروا المعاد ولوّوا رؤوسهم وصدّوا عن الحق(وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ اللّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ (١)

فلا ريب أنهم لا وليجة لهم من ساحة القداسة والطهارة ولا قرابة ولا كرامة لهم عند مليك مقتدر.

ولذا طُرد ابليس ولُعن ولم يوفق للتوبة لتكبره واصراره وسعيه لغواية بني ادم قال تعالى(قَالَ ٱخرُج مِنهَا مَذءُوما مَّدحُوراۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنهُم لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُم أَجمَعِينَ) .(٢)

١- المنافقون اية ٥
٢- الأعراف اية ١٨

قال تعالى (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى)

العمى

المراد من العمى هو ذهاب البصر

ليس بالأمر الهين والبسيط على الإنسان ان يقف بين يدي ربه اعمى يوم القيامة بينما كان يتمتع بنعمة البصر في الدنيا .

فيا له من عذاب باطني وروحي تتأجج نيرانه من أعماق الفؤاد، وزفرات وحسرات واهات تنهال على المجرمين تكاد ان تخرج الأرواح من شدة الآلام النفسية التي يتذوقها هؤلاء، ومن عظيم ما أصابهم من العذاب الشديد .

ولذا يتعجب ويتساءل المجرم عن علة العمى الذي أصابه وسبب فقدان البصر الذي كان يتمتع به في الحياة (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) فياتهم الجواب (قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١).

فقد كنت أيها الإنسان ترى الآيات والمعجزات بأم عينيك وتكّذبها، وتبصر الحقائق وتخالفها، فاليوم ستلاقي جزاء اهمالك وتكذيبك

١- طه اية ١٢٦

ونسيانك بالنسيان، وعماك بالعمى قال تعالى (بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ (١) وقوله (الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا (٢) .

هذه عاقبة كل من سار وفق هواه وحاد عن الصراط وبنى بنيانه على الباطل ومعتقداته على الظنون والارتياب، واعمى بصره بغشاوة العصبية وحب الدنيا قال تعالى (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٣) وقوله تعالى (وَحَسِبُواْ أَلا تَكُونَ فِتنَة فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيهِم ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِير مِّنهُمۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُ بِمَا يَعمَلُونَ) .(٤)

ومضة

اذا ما رجعنا الى القرآن الكريم سنجد مجموعة من الآيات التي ذكرت أحوال المجرمين يوم القيامة انها تؤكد وتبين بان المجرمين يبصرون ويرون فمن تلك الآيات قوله تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذِ المجْرِمُونَ

١- النمل اية ٦٦
٢- الكهف اية ١٠١
٣- الحجر اية ٧٢
٤- المائدة اية ٧١

نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١) وقوله (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (٢) والقراءة تتم بواسطة البصر وقوله (وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٣).

فكيف الجمع بين الآيات التي أثبتت البصر والرؤية للمجرمين بينما آيات اخر نفته عنهم؟.

وقد اجيب على هذا التساؤل بأن مواقف واحوال يوم القيامة كثيرة ومتنوعة وكل موقف له لوازمه وحيثياته وفق المشيئة الإلهية وحسب الأعمال التي ارتكبها الإنسان لكن بالجملة ان المجرم سيحشر أعمى يوم القيامة وهذه ما صرحت به الآيات والروايات كقوله تعالى (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٤)

١- السجدة اية ١٢
٢- الاسراء ١٤
٣- ص اية ٦٢
٤- الاسراء اية ٩٧

قال تعالى(المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

الضرب في الوجوه والأدبار

من العقوبات المعنوية التي تنال المجرمين هي الضرب على الوجوه والأدبار.

فمع شعورهم بالآلام الجسدية الشديدة من العذاب النازل بهم فانه يصيبهم بهذه الكيفية الإذلال والصغار قال تعالى (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ المَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ([1]).

ان الكيفية التي يعاقب بها المجرمون من الكفار والمنافقين التي بينتها الآيات القرآنية تستدعي النظر في حقيقة وطبيعة الاعمال السيئة التي كانوا يعملونها وكذلك الوقوف على علة هذا الاسلوب في العقاب.

فالله تعالى ليس اعتباطا يذكر الوجوه والأدبار دون سواها في عملية ضرب المجرمين من قبل الملائكة.

١- الانفال اية ٥٠

فأصحاب هذه الوجوه لطالما واجهوا الحق واهله وحاربوا الأنبياء والصلحاء بشتى أساليب العداء وحشدوا الجيوش والأحزاب لمواجهة الدعاة إلى الحق من الأنبياء والأولياء ولم يألوا جهدا في تكذيب رسالات السماء، واستكبروا عن سماع صوت الحق والآيات، وأعموا أبصارهم عن النظر إلى المعجزات والبينات.

فأصحاب هذه الوجوه سينالون أشد الاهانة والإزراء بضربهم على وجوههم من قِبل الملائكة.

وكذلك يضربونهم بإدبارهم لتوليهم وادبارهم عن الحق وكثرة اعراضهم واعتراضهم عن قبول الحجج والآيات قال تعالى (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ [1]

فمن خلال هذا البيان المقتضب فقد تبين علة اختصاص ضرب الوجوه والأدبار حتى يذوقوا الذلة والهوان ويروا عاقبة أفعالهم كيف تجسدت لهم بعد توفيهم.

١- الانفال اية ٢٣

ومضة

ان هذه الآية قد تناولت مسالة ضرب الملائكة لوجوه وأدبار المجرمين عند توفيهم (وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (١) وفي موضع اخر (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢).

وظاهر الآية ان الضرب والحريق الذي ينال المجرمين بعد توفيهم هو واقع بهم في عالم البرزخ.

وقد ذكر صاحب الميزان بأن سياق الآيات يشهد نزولها بحق مشركي قريش الذين قتلوا في معركة بدر فقال: وسياق الآيات يشهد على أن المراد بهؤلاء الذين يصفهم الله سبحانه بأن الملائكة يتوفاهم ويعذبهم هم المقتولون ببدر من مشركي قريش.

وهناك جملة من الآيات قد ذكرت طرقا عديدة وأنواعا مختلفة في تعذيب وجوه المجرمين في يوم القيامة:

١- الانفال اية ٥٠
٢- سورة محمد(ص) اية ٢٧

كقوله تعالى (تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ([1]) وقوله (لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ([2]) وقوله (وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوًى لِّلۡمُتَكَبِّرِينَ ([3])وقوله (يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ([4])

وإن ذكر وجوه مجرمين وادبارهم بهذه الاوصاف المتعددة فربما كان بسبب مواجهتهم المتعددة والمتكررة والمختلفة ضد أصحاب الحق من الامرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والوقوف أمام دعوتاهم وإصلاحاتهم، واستدبارهم وابتعادهم عن الصراط القويم.

١- المؤمنون اية ١٠٧
٢- الأنبياء اية ٣٩
٣- الزمر اية ٦٠
٤- طه اية ١٠٢

قال تعالى(فَأَعۡقَبَهُمۡ نفَاقًا ﴿ فِي قُلُوبِهِمۡ)

اعقبهم النفاق

النفاق: هو ان يظهر شخص شيئا ويبطن خلافه.

هو من ارذل الاخلاق والسلوكيات والاعمال، ويعدّ النفاق في الاعتقاد من اعظم الذنوب التي توعد اللّه بها المنافقين في يوم القيامة كأن يدعي الايمان ويبطن الكفر قال تعالى (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا)(١).

قد ذكر اللّه تعالى في كتابه الكريم بان اللّه تعالى يعاقب المجرم العاصي الذي امتنع عن الامتثال لطاعته ولم يتعاط عمليا مع ما يدعيه من الإيمان بشرائع الاسلام قال تعالى (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بمَا أَخْلَفُوا اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)(٢).

فان هذا العقاب الإلهي الذي يصيب هؤلاء هو عقاب معنوي وروحي يضرب القلب فيمرض بالنفاق وهم لا يشعرون به لغفلتهم وقساوة قلوبهم واعتيادهم على خلف الوعود والكذب.

١- النساء اية ١٤٥
٢- التوبة اية ٧٧

الملاحظة المهمة الجديرة بالذكر أن اللّه عزوجل قد نسب اعقاب النفاق في قلوب هؤلاء إليه مع أنهم منافقون واقعا.

ويمكن توضيح ذلك بجوابين:

الجواب الاول: ان هذا الايعاز له نظائر كثيرة في القران الكريم فقد جعل اللّه قلوب المجرمين قاسية مع قساوتها (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) (١) (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) (٢) وزيادة في المرض مع مرضها المسبق (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (٣) وقوله (وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَض فَزَادَتهُم رِجسًا إِلَى رِجسِهِم وَمَاتُواْ وَهُم كَفِرُونَ) .(٤)

الجواب الثاني: وهو الاهم ان اللّه تعالى يجازيهم على أعمالهم السيئة بل يزيدهم بعدا ونفاقا وعقابا لمخالفتهم لما وعدوه وبسبب ما كانوا يكذبون قال تعالى (فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥) .

١- المائدة اية ١٣
٢- البقرة اية ٧٤
٣- البقرة اية ١٠
٤- التوبة اية ١٢٥
٥- الصف اية ٥

ومضة

يستخف كثير من الناس بآثار المعاصي والذنوب ويجهلون الآثار الوضعية والتبعات الكثيرة التي تنشأ وتنتج منها والتي تحبط أعمالهم وتقسو قلوبهم وتبعدهم عن ربهم وتوجب لهم العقاب تلو العقاب كقساوة القلوب والنفاق فقد روي عن سول اللّهِ صلى اللّه عليه وآله: إنّ النِّفاقَ يَبدو لمظَةً سَوداءَ، فكُلّما ازدادَ النِّفاقُ عِظَماً ازدادَ ذلكَ السَّوادُ، فإذا استَكمَلَ النِّفاقُ اسوَدَّ القَلبُ. (١)

وروي عنه صلى اللّه عليه وآله: أربَعٌ مَن كُنَّ فيهِ فهُو مُنافِق، وإن كانَت فيهِ واحِدَةٌ مِنهُنَّ كانَت فيهِ خَصلَةٌ مِن النِّفاقِ حتّى يَدَعَها: مَن إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ، وإذا عاهَدَ غَدَرَ، وإذا خاصَمَ فَجَرَ. (٢)

وروي عنه صلى اللّه عليه وآله: ثَلاثٌ مَن كُنَّ فيهِ كانَ مُنافِقاً وإن صامَ وصلّى وزَعَمَ أنّهُ مُسلِمٌ : مَن إذا ائتُمِنَ خانَ ، وإذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعَدَ أخلَفَ ، إنّ اللّهَ عَزَّوجلَّ قالَ في كِتابهِ : (إنّ اللّهَ لا يُحِبُّ

١- ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٣٣٨
٢- ميزان الحكمة ج ٤ ص ٣٣٣٩

الخائِنينَ) وقالَ : (أنّ لَعْنَةَ اللّهِ علَيهِ إنْ كانَ مِن الكاذِبينَ) وفي قولهِ عَزَّوجلَّ : (واذْكُرْ في الكِتابِ إسْماعِيلَ إنّهُ كانَ صادِقَ الوَعْدِ وكانَ رَسُولاً نَبِيّاً). (١)

فالاعمال السيئة لها اثار كبيرة على نفاق القلب، وما هذه الآيات الا عينة من الامثلة تسلط الضوء على عاقبة من خالف الوعود وكذب بما وعد اللّه ولم يؤد ما عليه من الواجبات والحقوق واستخف بأحكام الإسلام.

فهذه الآية وغيرها من الآيات هي بمثابة تحذيرات وإنذارات لجميع الناس بان مخالفة الوعود والاحكام الالهية تؤدي بصاحبها بالنهاية الى عقاب النفاق والقساوة والابعاد ناهيك عن العقاب الاخروي.

١- نفس المصدر

قال تعالى (إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ)

الغواية الالهية

الاغواء هو الإضلال والإغراء

بعد تراكم الانحرافات والتبجح بها والسير على خطى الشيطان والاستخفاف بهدي القرآن يزداد الإنسان في كل ساعة نسيانا لعهد اللّه وعدم الوفاء بطاعته واجتناب معصيته.

فالضلال والغواية التي ينسبها اللّه اليه بحق المجرمين جاءت نتيجة ابتعادهم عن الهداية الالهية والركون الى طاعة النفس الامارة بالسوء واتباع الشيطان قال تعالى (وَلا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١) وقوله (قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٢).

فاللّه تعالى يضع بين يدي الإنسان جميع سُبل الهداية من خلال ارسال انبيائه وما نزل عليهم من كتبه وما فيها من هدى ونور

١- هود اية ٣٤
٢- الحجر اية ٣٩

التي تزكيه وتضع عنه الأغلال وتنقذه من عبادة الأوثان وتنجيه من عذاب النيران قال تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١)

وإذا ما الإنسان صدف عن طريق الهداية والذكر، واختار طريق الضلال والمكر، وغدا ينسج له سبلا تتناغم مع هواه وعكف عليها دون الاوبة الى الله، يزيده الله غواية وضلالا قال عزوجل (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (٢)

اذن: بعد هذه المقدمة المختصرة اتضح بأن الله تعالى يهدي المؤمنين الى سبل السلام ويزيدهم هدى مع هداهم وينقذهم من عذاب النار قال تعالى (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا (٣)

بينما يغوي ويضل كل قلب حادّ عن طريق الهداية وظلم نفسه باختياره ليذوق وبال أمره قال سبحانه (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

١- التوبة اية ١١٥
٢- النساء اية ٨٨
٣- مريم اية ٧٦

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (١).

هذه العقوبة الباطنية يبتلى بها كثير من اهل الضلال والعناد لكنهم لا يشعرون بها لقساوة قلوبهم، وتلوث نفوسهم، وانحراف أخلاقهم، وضحالة أفكارهم.

١- إبراهيم اية ٢٧

قال تعالى(إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ(

الأغلال في الأعناق

الاغلال: هي القيود التي تجمع الأيدي إلى الأعناق

قد ذكرنا في عدة مناسبات خلال المواضيع السابقة بأن كثيرا من العقوبات الالهية بحق المجرمين هي مقترنة بعقوبة جسدية وعقوبة باطنية روحية.

فأغلال الآخرة هي بلا شك تعد عقوبة شديدة ومؤلمة بحق المجرمين لكن وضعها في الأعناق وسحبهم بها تعد اشد إذلالا واهانة وتحقيرا لهم قال تعالى(إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (١) وقوله (وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢).

ان أغلال الاخرة هي نتاج أغلال الدنيا التي صفدت المشركين والكافرين بعبادة الأوثان وطاعة الشيطان واتباع الآباء، واغلال الهوى التي قيدتهم عن الالتزام والطاعة، وأغلال حب المال التي

---

١. غافر اية ٧١
٢. الرعد اية ٥

وقفت حائلا دون الإنفاق في سبيل الله، وأغلال العصبية كطاعة العشيرة والأحزاب التي قُدمت على طاعة الله وتطبيق شرائعه.

فقد بعث النبي(صلى الله عليه واله) لكي يضع ويزيل جميع الاغلال من قلوب وعقول الناس التي تُقّيد حريتهم وتُكّبل ارادتهم عن عبادة الله قال عزوجل(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١).

لكن من ابى واعرض عن هذه الرحمة الالهية في رفع الأغلال تجسدت وتمثلت له يوم القيامة وتوضع في عنقه حتى يعذب بها جسديا وباطنيا.

فمن وضع عن نفسه في الدنيا أغلال الكبر والهوى نجا وتخلص من أغلال الاخرة ومن كبّل نفسه بأغلال الدنيا تجسدت له يوم

١- الأعراف اية ١٥٧

القيامة ووضعت في عنقه، ويمسّ ويشعر ألمها ويشاهد ذلها وهوانها.

وان هؤلاء لطالما وضعوا الاغلال في اعناق الأبرياء والمستضعفين بغير حق وألقوهم في غيابات السجون، وكان خبرهم نسيا منسيا، لا يعلمون ليلهم من نهارهم بسبب قعرها وظلمتها.

كل ذلك استكبارا وعلوا في الأرض وازدراء بالضعفاء والفقراء قال عزوجل(اسۡتِكۡبَارًا فِي الأَرۡضِ وَمَكۡرَ السَّيِّئِ ۚ وَلا يَحِيقُ الۡمَكۡرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهۡلِهِ). (١)

فاليوم يحيط بالمستكبرين مكرهم السيء وما عملت أيديهم وسولت لهم أنفسهم ويلقون تبعات اعمالهم المخزية في وضع الاغلال في اعناقهم.

١- فاطر اية ٤٣

قال تعالى (ثُمّ لَنُحضرَنّهُمْ حَوْلَ جهَنّمَ جثيًّا)

عقوبة الجثو على الركب

الجثو هو الجلوس على الركبتين

من العقوبات النفسية والروحية التي تصيب المجرمين يوم الحشر هو الجثو على الرُكب قال تعالى (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (١)).

ولا شك ان هذه الجلسة بهذه الهيئة والكيفية مشعرة بتمام الذل والهوان الذي ينزل بهؤلاء الذين استكبروا على إرادة اللّه وأنكروا المعاد وأفسدوا في البلاد ولم يعدوا الزاد.

فعند الحشر يظهر جليا ضعفهم وانكسارهم وذلتهم، فيالها من لحظات تأخذ بالأنفاس فلا التمني ينفعهم ولا الشفاعة تنالهم ولا صديق حميم ينقذهم ولا ناصر يخلصهم ولا عمل صالح يسعفهم وقد صدق قوله تعالى (وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ

١- مريم ٦٨

الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ (١).

فهذه المواقف الذليلة والعصيبة التي ستنال المجرمين تدمي القلوب وتحطم الانفة والجبروت من نفوسهم فطالما ادعوا لهم الكبرياء والعزة والعلو في الأرض بغير حق، فاليوم سترون قدركم وقيمتكم الكاذبة (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا (٢)

فيوم يقتصّ منكم على جرائمكم بحق عباد الله في إذلالهم وإهانتهم ورميهم بشتى التهم والافتراءات والنظر اليهم بعين الازدراء والاستهانة قال تعالى(وَلا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللّهُ خَيْرًا ۖ اللّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (٣) وقوله (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولا﴾(٤)

١- شورى اية ٤٥
٢- الكهف اية ١٠٥
٣- هود اية ٣١
٤- الفرقان اية ٤١

وقوله (قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ (١)

فساعة الجزاء قد حانت والقصاص واقع بكم لا محالة، فلا كرامة لكم عندنا اليوم، ولا تنفع معذرتكم ولا ينظر في اعترافكم قال سبحانه (قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (٢)وقال تعالى(فَيَوْمَئِذٍ لا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣) .

١- الشعراءم اية ١١١
٢- غافر اية ١١
٣- الروم اية ٥٧

قال تعالى (يَوْمَ يُدَعّونَ إِلَى نَارِ جَهَنّمَ دَعًا (١))

عقوبة الدعّ

يُقال دعّه: أي دَفَعَه في جَفْوةٍ وعنف وشدّة، وزجره ونهره بغلظة.

عقاب روحي وباطني آخر مع اقترانه بالعقاب الجسدي الذي يصيب المجرمين الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد وهو الدفع والزجر بقوة إلى نار جهنم.

بعد ان يفصل الله تعالى بين العباد ويمتاز المجرمون (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٢) وتكون عاقبتهم إلى النار ويساقون إليها لكن بقوة وشدة ودفع.

فمع ان مصيرهم المحتوم الى النار، ومقرهم الأبدي فيها لكنهم لا يساقون إليها برفق وشفقة وأسفا إنما تدفعهم ملائكة العذاب بقوة حتى يتعذبّوا روحيا ويشعرون بالإهانة والاذلال وانهم لا قيمة لهم.

ان هذا الأسلوب المهين بحقهم نتيجة ما كسبت أيديهم من التكذيب بالحساب، وارتكاب الآثام، ومجانبة مكارم الأخلاق،

ومنها التعدي على الأيتام قال تعالى (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (١).

فلم يكونوا يعبؤون بجراحات الناس وأحزانهم وآلامهم من دمعة يتيم، وصرخة مظلوم، والم سقيم، وجوعة فقير.

وطالما كانوا يزجرون الناس عن الايمان بالله ورسوله ويدفعونهم عن مناصرة الحق وأهله، وكانوا يسوقون الأبرياء والمظلومين الى قعر السجون بكل شدة وزجر!

فاليوم سيجدون أعمالهم متجسدة امامهم بشتى انواع العذاب قال تعالى(وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٢)

١- الماعون اية ٢

٢- الكهف اية ٤٩

والحمد لله رب العالمين

المحتويات

- **ملازمة القرين**
- **عقاب المسخ**
- التشبيه والتمثيل
- عقاب التوبيخ النفسي
- زيادة في المرض القلبي
- **حرمان الكلام والنظر**
- عقاب التثبيط
- عقاب **الدحر او المدحور**
- عقاب العمى
- **الضرب على الوجوه والأدبار**
- **اعقبهم نفاقا**
- الغواية الالهية
- الأغلال في الأعناق
- عقوبة **الجثو** على الركب
- عقاب الدعّ

